الشخصية المتهيأة

الدكتور عقيل حسين عقيل

الشّخصيَّةُ المتهيأة

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

المحتويات

المقدّمةُ..... 4

الشّخصيَّة المتهيأة 5

الشّخصيَّة المتهيأة في المواجهة..... 12

تهيُّؤ الشّخصيَّة..... 20

تهيّؤ الشّخصيَّة (مادّي عقلي) 20

تهيّؤ الشّخصيَّة (مادّي نَّفسي)..... 25

تهيّؤ الشّخصيَّة (مادّي نَّفسي عقلي) 27

تهيّؤ الشَّخصيَّة (مادّي نَّفسي عقلي رُّوحي 31

تهيؤ الشَّخصيَّة لأداء الفعل..... 35

تقابل تهيّؤات الشّخصيَّة 36

صور تهيؤ الشَّخصيَّة..... 39

الشّخصيَّة تتهيَّأ والأمل لا يفارق 58

الشّخصيَّة المتهيأة طموحًا 84

الشخصيَّة المتهيأة تحدِّيًا 90

الشَّخصيَّة المتهيأة تدبُّرًا 94

المجالات القيميَّة لتهيُّؤ الشّخصيَّة..... 108

مجال التهيؤ القيميَّ الاجتماعيّ 108

مجال التهيؤ القيميَّ النَّفسي..... 123

مجال التهيؤ القيميَّ السِّياسي 126
مجال التهيؤ القيميَّ الذّوقي 131
مجال التهيؤ القيمي الثَّقافي..... 136
صدر للمؤلّف 146
المؤلّفات 148
المؤلّف في سطور..... 168

المقدّمةُ

الشخصيَّة المتهيّأة هي التي ليست بغافلة عمَّا تريد أن تعمل وترغب، بل هي التي لها من الإصرار والعزيمة ما لها، وهي المتحفّزة للإقدام على الفعل، غير أنَّها لا تقدم على فعلٍ حتى تحوط نفسها بما يجب أن يكون ميسّرًا بين يديها في دائرة الممكن.

ومع أنَّ الذين سبقونا في مجالات علم النّفس، وعلم النّفس الاجتماعي، والخدمة الاجتماعيَّة بحثوا وكتبوا المؤلَّفات عن الشّخصيَّة والحالات الفرديَّة، غير أنَّهم لم يلتفتوا إلى أهميَّة التهيؤ ومدى أثره على شخصيَّة الفرد وأفعاله، مع أنَّها هي الأساس الحيوي الدَّافع والمحفِّز على الإقدام على، أو الاحجام عن.

ولذا فالشّخصيَّة المتهيّأة منتبهة لنفسها، وهي تدري بما يجب أن تقوم به، أو تقدم عليه، فتعد العدّة، وتستعد تهيّؤًا للتأهُّب الممكّن من الاقدام على الفعل.

ونظرًا لأهميَّة التهيؤ في صُنع أو صقل الشّخصيَّة المقدامة، بدلنا مزيدًا من الجهد بحثًا عن المعلومة بالمعلومة، حتى عرفنا ما لم يكن معلومًا مِن قَبل وهو أثر التهيؤ على الشّخصيَّة، مع العلم قد يكون التهيؤ مؤدِّيًا إلى موجبٍ، وقد يكون مؤدِّيًا إلى سالبٍ؛ ومن هنا نقدَّم هذا المؤلَّف إضافة علميَّة إلى ميادين المعرفة ومجالات العلوم وتخصّصاتها لعلَّه يلفت عقول البحَّاث إلى المزيد البحثي.

وعليه: فإنَّ مفهوم الشَّخصيَّة المتهيأة يختلف عن مفهوم الشّخصيَّة غير المتهيأة؛ ذلك أنَّ المتهيأة دارية بأمرها وما يجب عليها أن تقوم به تجاهه، فلا تتأخر ولا تتخلّف عن الاستعداد والعدّة، أمَّا الشّخصيَّة التي لا تلتفت لنفسها فلا تتهيأ لشيء لعلّه يفيدها، ومع ذلك هناك من يتهيأ إلى ما من شأنه أن يهلك ويضر.

ولهذا تمّ تناول كلّ ذلك مع إبراز علله ومسبّباته ومحفّزاته ودوافعه، ثمَّ تحليلٍ تلك العلاقات المتداخلة بين علّة وسبب، وبين رغبة وحاجة، وبين قيمة وقيمة، مع تفصيل مجالات التهيؤ وفقًا لكلّ شخصيَّة سواء أكانت شخصيَّة فاعلة من الذاتيَّة إلى التطلّعيَّة والموضوعيَّة، أم أنَّها على غير ذلك من الذّاتيَّة إلى الإنسحابيَّة ثمَّ الأنانيَّة.

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

الشّخصيَّة المتهيأة

الشّخصيَّة المتهيأة هي التي تستطيع أن تفعل كل ما تتهيأ له وفقًا لدائرة الممكن؛ ولذا فالشخصيَّة المتهيأة تحفِّزها رغبة التهيؤ إلى التمسّك بالموضوع المتهيأ له مع وافر الحرص وبكل إرادة.

وتعد الشّخصيَّة متهيأة متى ما التفتت إلى نفسها وعيًّا بما يجب تجاه ما يجب، وبلوغ الأمل في نفسها لا يفارق، إنَّها الشّخصيَّة القادرة على التحدّي مع وافر العزيمة والإصرار؛ ولذا فهي المتحفِّزة لنيل المأمول أو الفوز به؛ إذ لا تردد في قاموس حيويّتها.

ومن هنا يعدّ التهيؤ الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان على اليقظة نفسًا وعقلًا دفع إلى إنجاز ما كان هدفًا، وتحقيق ما كان غرضًا، وبلوغ ما كان غايةً، والفوز بما هو مأمولًا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلّا بعد عُدّة تُعدّ واستعداد يُهيأ، وتأهّب يوضع في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تُشبع رغبة، وتُحفّز على ما يجب، وهو صّحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتمامًا، وبه تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحجّة، والبرهان من البرهان، إنّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

والتهيّؤ لا يكون إلّا عن يقظة بما يجب أن يتمّ الإعداد والاستعداد له قبل أن يأتي، وهو تحفُّز لإظهار الأمل المتهيئ للظهور، إنَّه الحالة التي يبدو عليها الإنسان في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن؛ فالتهيّؤ نضج طبيعي ومعرفي بما سيأتي وما ينبغي أن يُفعل لمواجهته، كنضج الثّمار لأنْ تُجنى أو تُقطف، وكالبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزّواج؛ وكالتهيّؤ للصّلاة والصّيام قبل أن يأتي موعدهما؛ فالتهيّؤ لا يتمّ إلّا بمجموعة من التفاعلات المحفِّزة للقوى الكامنة في الإنسان قبل الاستعداد إرادة لفعل مخصوص؛ إنَّه الحركة بعد السّكون، واليقظة التي لا تغالبها الغفلة.

وعليه:

. هيئ نفسك لما يجب حتى لا تقودك الشّهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

. التفت إلى نفسك وأعمل على ما يحقّق لها الطمأنينة.

. فكّر حتى يولّد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزّم.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تتبيّن.

. هيئ نفسك للعمل فهو المنقذ من الحاجة.

. هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

. هيئ نفسك لغير المتوقّع تجد المتوقّع بين يديك ميسّرًا.

وعليه فالتهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه، ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلّةً متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولًا.

ولأنَّ التهيّؤ قبلي؛ فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئا مفعولا، ولو لم يكن الشيء متهيئا للظّهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرًا عليها بالتمام؛ وكلُّ فعل لا يكون فعلًا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن وعقل الذي سيفعله، فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النّاس لابدَّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد ثمّ التأهّب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع؛ فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين النّاس مفعولًا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر الإرهابي ذو وطأة على أنفس المرتهبين ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلا من ميلها انحيازًا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائمًا يسبق إعداد العُدّة والفعل والسّلوك والعمل؛ لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون لها

هيئة في أذهان وعقول المبدعين لها، ولهذا لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئًا إلّا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة؛ فالسّكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصّورة التي هو عليها دليل شاهد بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه من حيث كونه صلبًا ومتينًا وحادّ أحد الطّرفين أو حادّ من طرفيه، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى أو سلوكٍ يمارس أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول.

ولهذا دائمًا الهيئة تسبق الصورة، أي لو لم تكن للسكِّين هيئة في ذهن الشّخص الذي تهيأ في عقله، ما كان على الصّورة التي أصبح عليها سكينًا، وهكذا حال أيّ مخلوق أو مصنوع؛ فهيئة الكون بالنسبة للخالق تعالى سابقة على وجود الكون مخلوقًا.

ولذلك فإنَّ الأفعال كلّها لا يمكن أن تسبق تهيّؤاتها؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعال متحقِّقة على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة فبعد أن تنضج في عقل المفكّر أو المتدبّر يتمّ من بعدها رسم الخطط المنفّذة ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار للقيام بالعمل أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن مادّي الصّورة؛ حيث لا شكل ولا مظهر له سوى الأثر السّلبي الذي يمسّ النَّفس الإنسانيَّة، إلا أنَّ أثره لا يكون سائدًا في النَّفس البشريّة إلّا بعد الأعداد له إعدادًا ماديًّا، أي: إعدادًا لِما يُظهِره وليس إعدادًا لإظهاره.

ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنّفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادًا وعُدّةً وتأهبًا واستعدادًا.

إذن: تتهيّأ شخصيَّة الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليَّة التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيضل سائدًا بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفًا القوّة المرهبة للذين يعتقدون أنَّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاك القوّة عُدّة وعتادًا واستعدادًا واستيعابًا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادر على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل الشخصيَّة المتهيأة للفعل المرهب اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ وتهيئة القوّة العقليَّة ولفتها للمخاطر بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والشّخصيَّة المتهيأة لأداء الفعل لا مكان في نفسها للتردُّد، ولا خوف، ممّا يجعل الإرادة مولَّد القوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره؛

ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرُ ميسَّرًا قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنًا ما فُعل، ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابله لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تلد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ بالنسبة إلى الشّخصيَّة المتهيأة كونه إيقاظ عقلي؛ فهو يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ الذي بدونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل ولا تُقدَّر إلّا به؛ ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ يقظة للفعل المحقِّق للرّضا حتى وإن كان على حساب الآخرين وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟ ولِمَ لا تتهيأ الشّخصيَّة الإنسانيَّة للسّلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض إنّ هذا القول لا يزيد عن كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة الممكن أنَّ كلّ شيء ممكنًا؟ فالمعطيات التي جعلت الشّخصيَّة تتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعلها تتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

إنّ التهيؤ يقظة يلفت شّخصيَّة الإنسان إلى أهميّة خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة وفضائل خيّرة تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه؛ وذلك بهدف غرس الثّقة المتبادلة وبغاية تغيير الحاضر تجويدًا، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول وإحداث النُّقلة الإنسانيَّة رفعة وقمّة.

الشّخصيَّة المتهيأة في المواجهة:

الشّخصيَّة المتهيأة في ميادين المنافسة الحرّة لأداء الفعل تعرف أنَّها ستكون في مواجهة مع شخصيَّات أخرى متحديَّة؛ كونها تنافس على أداء الفعل ذاته بغاية الفوز بما يترتب على أدائه.

ولأنّ التهيؤ حيوية تتمدّد من السّكون إلى الحركة؛ فهي ستكون حيويّة ذات أثرٍ موجب أو سالب على المتهيء ومحيطه الاجتماعي، وستكون في المقابل لها ردّات الفعل بين قبولٍ ورفض.

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل فكما يتمَّ التهيّؤ لأداء الأفعال؛ فكذلك يتمَّ التهيّؤ يقظة لمواجهتها بأفعالٍ مضادة لها، وكما تُرسم الخطط لتنفيذ الفعل كذلك تُرسم الخطط لمقاومة الفاعلين له، فالذين يتهيّوون إلى ارتكاب أفعال الإرهاب بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أفعال المرهِبين بإرادة همّ الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكل قوّة، أمَّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ

الإرهاب أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين بقدر ما تكون أيديهم على الزّناد مرتعشة في حالة ما إذا كُتبت الحرب عليهم أو تمّ إعلان المواجهة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل أفعال المنفِّذين للإرهاب تبوء بالفشل كما تبوء به أفعال المقاومين له.

ولذلك فالشّخصيَّة التي تهيّأت واستعدَّت لفعل وأقدمت عليه ليس بالأمر الهين أن تتهيّأ يقظة لِما يُغيِّرها عن الاستمرار فيه إلّا إذا فكَّرت وتذكَّرت وقَبِلَت إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن لا تُصحّح إلا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، إي: دائمًا عندما يتوفّر حُسن النيّة تكون المعلومة الصّائبة وحدها هي القادرة على تصحيح المعلومة الخاطئة وقهرها حجّة، ولكن إذا لم تتوافر النوايا الحسنة فستظل المعلومات دائمًا تحت أثر التزوير الذي به ينتشر الانحراف عن الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

إنّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وتهيُّأته التي يقوم عليها تهيُّأً، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له، والفَلك الذي يدور فيه، فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرّوح والنَّفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سالبها وموجبها، ولهذا يجب أن تنتبه الشّخصيَّة المتهيأة إلى الآتي:

. مراجعة القيم لتثبيت المفيد والمرضي وتصحيح المشوّه منها.

. مراجعة المناهج والمقررات التعليميَّة وجعلها مواكبة لحركة التغيير والتطوّر، وأن تكون ملبيّة لحاجات المتعلمين إلى المعرفة.

. أن تكون المقررات التعليميَّة مستفزّة لعقول المتعلمين حتى تشدّهم إليها وتقودهم إلى ما يجب.

. أن تكون عقول المعلّمين مستنيرة بالمعرفة الواعية والمتجدّدة ومتفهّمة لمراحل النمو وما ينبغي أن ينتبه إليه.

وكلما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضيّة الخارجيّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عمليّة التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

فالتهيّؤ لا يكون إلّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس الشّخصيَّة المتهيأة هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجيّة، والإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقليَّة والجسمانيّة والرّوحيّة وهي في آنٍ واحدٍ تُعِدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرّوح لتكون متهيئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وتُعد لحظة التهيّؤ يقظة من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف؛ إذ أنّ التهيّؤ لدى الشّخصيَّة المتهيأة يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة؛ وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا

يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار، ولهذا فلا تهيؤ بلا إرادة، ولا إرادة فاعلة بدون تهيؤ.

والتهيؤ مع أنّه نفسي وعقلي، فإنَّ أصحابه الذين تهيؤا إلى ما تهيؤا إليه هم في حاجة إلى توجيه وإرشاد من الذين لهم في ميادين المعرفة والتجربة والخبرة باع كبير، ولهذا فعلى من يتهيأ لما يشاء أنْ لا يغفل عن استشارة المؤهلين للمشورة قدوة أو معرفة أو خبرة وتجربة.

وللتهيؤ مصادر منها:

. الفضائل الخيّرة.

. القيم الحميدة.

. المقررات الناجحة.

. الحواضن الاجتماعية الواعية.

. وسائل الإعلام المرشّدة.

. مراكز البحوث المتقدّمة.

. الأندية الرّياضية المتطلّعة.

. مراكز التأهيل والتدريب المعدّة تقنية.

. الأفكار المتفتّحة والتي يمكن استمدادها استنارة، ومن ثمّ تُكتسب وتمكّن من ذاكرة العقل؛ إذ أنَّ العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

إنَّ الأفكار التي تغذي العواطف وتستفزّ المشاعر وتُوَجِّه الأحاسيس، هي التي تدفع الشّخصيَّة المتهيأة فكريّا ثمّ تدفعها سلوكيّا لتكون على ما تكون عليه من تهيؤ؛ لذلك فمتهيئات اليقظة كامنة في العواطف بتعدّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوجِّ نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة اعتدال متوازن فلا تؤثّر سلبيًّا عليه، وأمَّا إذا اشتدّت العاطفة فإنَّها تستدعي معظم الأفكار الخاصّة بالحدث بمؤثِّرات خارجيّة عن طريق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه كلّما تهيّأ لمواجهتها يقظة من الضمير الذي يُقدِّر الأنا والآخر دون تحيُّز، ولذا عند ما يُصرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيّؤ للظهور

إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذّاكرة.

ولهذا فالتهيّؤ للقول أو الفعل يسبق اتخاذ القرار الذي بدوره الطبيعي لا يُتَّخذ إلّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ولسائل أن يسأل:

هل يمكن للإنسان أن يَقدم على تحقيق مُنجز غير متوقّع دون أن يتهيأ له؟

تحقيق أو إنجاز غير المتوقّع ليس بالأمر الهين؛ فهو لا يمكن أن يتحقّق هكذا ضربة عشواء، بل يتحقّق بحسن التدبّر الذي لو لم يكن صاحبه متهيأ له ما كان متحقّق أو منجزًا؛ فغير المتوقّع لو لم يتهيأ له وتُحدّد له الأهداف وترسم الخطط من أجله ما كان فعلا منجزا بين الأيدي.

ولذا فالتهيّؤ قيمة حميدة يجعل الشّخصيَّة المتهيأة على حالة من التطلُّع لما يجب قبل أن يحين وقت وجوبه، وهو يقظة مسبقة بالفعل المتوقّع قبل وقوعه.

إذن: التهيّؤ يعكس إدراك الشخصيَّة المتهيأة لِما هو ممكن وفقًا للواقع الذي ستكون عليه، ولهذا تكون الشخصيَّة منتظرة الزّمن الذي سيأتي، لتقدم على الفعل أثناء وجوب أدائه وفقًا للخطة المرسومة والمعتمدة دون

تأخير، ومن هنا نجد المتحفِّزين والمتدافعين في حالة حركة مع حركة سُنن الحياة، وهم يحقّقون المنجزات جهود تبذل.

والتهيّؤ كونه تخمين في لحظة الصّحوة دائمًا يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ فبدونه لن يكون العمل أو الفعل إلَّا وظيفة لا تؤدّى إلَّا بمقابل، ولا تُقدَّر إلَّا به، ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ هو المحدِث للفعل والمحقّق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين، وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

وكلما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضيّة الخارجيّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فإنَّ التهيّؤ لا يكون إلَّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقليَّة والجسمانية والرّوحية، وهي في آنٍ واحدٍ تُعدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل، من خلال تناسق قوى العقل والجّسد

والرُّوح لتكون متهيّئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت، وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ومن هنا فالتهيؤ لا ينجز الفعل مباشرة (بمجرد اكتمال التهيؤ أو وضوحه) بل التهيؤ يزيح العقل من التخمين في الشيء إلى البحث عن العدّة ثمّ الاستعداد لما يأمل أن يقوم به أو يواجهه أو يفعله؛ أي لا يمكن أن يكون التهيؤ غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه أعظم وهي بلوغ المأمول.

ومن هنا فإنَّ الشّخصيَّة المتهيأة تُحدّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ أنَّ التهيّؤ لدى الشخصيَّة المتهيأة يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة؛ وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار عن وعيا ودراية معرفية مع حسن تدبّر.

ولهذا فمصادر التهيّؤ بالنّسبة للشخصيَّة المتهيأة، هي الأفكار المكتسبة والممكِّنة من ذاكرة العقل، إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

ومن ثمّ ينبغي على الإنسان أن يتهيأ لما يجب، حتى لا تحدث له المفاجئات المؤلمة؛ فتصبح أحواله تتبدّل من حالة المبادرة إلى حالة البحث

عن منقذ. وبالتالي ينبغي أن يبحث الإنسان عن أملٍ له يشغله اهتماما وتفكيرا حتى تلد له الفكرة فكرة تلد حلّا.

تهيُّؤ الشّخصيَّة:

لم تعد التهيؤات كما يراها البعض مقتصرة على ما لم يكن وجودًا أو ليس له معطيات الوجود، بل في هذا المؤلَّف فهي ذات المقصد وعيًا وعن دراية بما يجب الإقدام عليه بلا تردّد، وما ينبغي الانتهاء عنه بلا تردّد؛ ومن هنا فالتهيؤ كونه قيمة عقليَّة ونفسيَّة؛ فهو الممكّن من المعرفة المقصودة، والمحفّز على إحداث النُّقلة إلى ما يمكن أن يؤدّى أو يفعل أو ينجز أو يتمّ الفوز به، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق لو لم تكن للتهيؤ مكونات أو معطيات قابلة للاستفزاز ومن هذه المعطيات:

تهيّؤ الشّخصيَّة (مادّي عقلي):

مع أنَّ العقل هو مصدر التهيؤ، فإنَّ العقل ذاته في حاجة لأن يهيأ، أي إنَّ العقل بطبعه يمكّن من التهيؤ كما هو حال الكائنات غير العاقلة، ولكن القضايا الكبيرة تستوجب أن يلتفت العقل إلى ملكاته مراجعة وتقييما حتى تستقيم ملكاته لإنتاج الفكرة التي لم تكن من قبل في دائرة العقل متوقّعة، ومن هنا وجب التفكير في غير المتوقّع مثلما يتمّ التفكير في المتوقّع؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، خُلق مقوّمًا على الهيئة

والصّورة: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}[1]، أي خلقك على المقدرة لأن تفعل ما تشاء مخيّرًا في مشيئته تعالى، أي في خَلقك كانت الصّورة التي أنت عليها تمشي سويًّا، والتي تستوجب حُسن الخُلق الذي به تنال المكانة والتقدير، والذي به تصنع القدوة عملا يحتذى به.

إنَّ التهيّؤ المادّي العضوي هو تهيّؤ فطري، والمقصود به ما يتمتّع به الإنسان من أعضاء يستطيع أن يمارس بها أفعالا معيّنة؛ فنجد هذه الأعضاء مهيأة لذلك قبل مباشرة الفعل كالحواس جميعها؛ فالعين مهيّأة للنّظر والأذن مهيّأة للسّمع، والقدم مهيّأة للمشي، واليد مهيّأة لاستعمالات كثيرة، وكذلك العقل مهيّأ لتقبُّل العلوم والتمييز والاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتدبُّر، وباجتماع إحدى ملكات العقل مع إحدى هذه الأعضاء، يتولّد تهيّؤ ثنائي جديد بين الأداة المادّية والجانب الذّهني.

ومع أنّ العقل ليس ذلك المادّي كما هو حال الحواس الأخرى، فإنّه حاسّة، بل هو ملكة الحواس جميعها؛ فبدونه مفاتيح السّيطرة تُفقد من على كلّ الحواس؛ فلا القدمين يمشيان كيفما يجب، ولا العينين تبصران كما يجب، ولا السّمع والحركة والسّكون تكون كما هي من غير عقل سليم يضبطها توجيها وسيطرة؛ ولهذا جاء التهيؤ العقلي خَلقا مميّزا للإنسان الذي خُلق في أحسن صورة؛ أي أنَّ العقل لم يُخلق على الخُلق، بل الخُلق

[1] الانفطار 7، 8.

لا تكون إلّا مكتسبة؛ ومن هنا؛ فمن تهيأ عقلا لأنْ يتعلّم لا شكّ أنّه سيتعلّم، وإذا تهيأ عقلا لأنْ يعمل لابدّ وأن يعمل، وهكذا؛ فالإنسان مهيأ خَلقا ليكون المخلوق الأرقى، ولكن في بعض الأحيان الإنسان ينحدر إلى السُفلية والدونيَّة طمعا أو ضعفا وشهوة. ولو فكّر الإنسان في نفسه ولِمَ خلقه الله في أحسن صورة، وشاء له أن يكون خليفة في الأرض لأدرك أنّ رسالة صعبة ستكون عبء على ظهره، ولأنّها الرّسالة؛ فهي واجبة الأداء مع حسن التدبّر والتذكّر والتفكّر الذي يمكّن من حُسن المعرفة التي لا يتمّ استيعابها إلّا بالتهيؤ.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرًا في أحسن تقويم، فإنّه اختيار انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنًا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقيّة أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندمًا؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه؛ ذلك لأنّه المخلوق على الارتقاء، ولكن بعلّة الشّهوة اختار أن يسلك سلوك المنحدرين دونيَّة؛ فأصبح النّعت سُفليّة يلاحقه منذ تلك السّاعة التي انحدر فيها حيث لا منقذ له بعلل الاختيار انحدارا.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النّشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزّمن الحاضر في حُسن خَلقه وحُسن خُلقه. ولكنّ الغفلة قد أخذته؛ فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي، ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه،

وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضا.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء، فإنّه انحدر رغبة وغفلة، ثمّ انتبه لأمره ارتقاء؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، وجعله من المكرّمين: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[2]. ومع أنّهم المفضّلين، فإنّ البعض غير مقدّرٍ لهذا التفضيل؛ فمنهم من ضلّ، ومنهم من اهتدى، وهم لا يزالون مختلفين وسيظلون كذلك. أي متى ما هيّاء الإنسان نفسه إلى الإقدام على الموجب أصبحت أفعاله موجبة، ومتى ما هيّأ نفسه إلى السّالب أصبحت أفعاله سلبية.

وعليه فعبر التّاريخ والمنحنى التكراري للسّلوك والفعل البشري بين هبوط وصعود؛ فمع أنّ الإنسان خُلق ارتقاءً (سويًّا) على صراط مستقيم، فإنّ سلوكه وفعله انحدر إرادة عمّا خُلق عليه من ارتقاء واستقامة؛ فالإنسان لم يُخلق على الانحراف والحيوانيَّة، بل هذه قابلة لأنّ تكون جزاء من سلوكه إذا تهيّأ لها، وهذه لا تكون إلّا من تدبّر عقله وتهيئة نفسه، فلا يليق به أن يكون مثل تلك التي تمشي مكبّة: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[3]، ومع ذلك انحدر دونيَّة عمّا خُلق

[2] الإسراء 70.

[3] الملك 22.

عليه من حسن قوام وتقويم، عندما خالف أمر ربّه الذي نهاه عن الأكل من تلك الشّجرة، ومن هنا، كانت النقطة الصّفرية التي بدأ منها رسم المنحنى التكراري للسّلوك الإنساني وفعله، ولم تكن النقطة الصفرية من دونيَّة إلى علوٍّ ورفعة، بل كانت من علوٍّ إلى دونيَّة، وهذه أوّل مخالفة (أوّل استثناء) والتي أعقبتها استثناءات وفقا لما هيّأ الإنسان نفسه إليه دونيَّة وانحدارا. فهو الذي خالف حُسن الخَلق الذي به تميّز عن غيره من تلك الزّواحف ومكبّة الأوجه، ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق والتي إن تهيأ لها كانت صفة من صفاته الحسان، وإن تهيأ لما هو سفلي فليس له إلّا السُفلية والانحدار الذي لا يليق بمن خُلق على حُسن التقويم.

ولهذا فمكوّنات التهيؤ أو معطياته لم تكن مقتصرة على الوجود المادّي فقط سواء أكانت المادّة (ماء، أم نار، أم هواء، أم تراب، أم أنّها مجتمعة)، بل الكون بأسره بين مادّة تُلمس ويحسُّ بها ومادّة تحتاج إلى معرفة، وبين روح يصعب إخضاعها للمشاهدة، وبين عقل يدرك كلّ شيء في دائرة الممكن، وبين نفس تتأثر سلبًا وإيجابًا كما أنّها تؤثّر في غيرها سلبًا وإيجابًا؛ ولهذا فالكون مبنيّ على معطيات تتعدّد ويصعب عدّها، سواء أكانت طاقة، أم مجرّات، أم فراغًا وظلمة، أم نجومًا وكواكب، وهذه جميعها تتمدّد بين المستحيل بلوغًا، والمعجز نشوءًا ومعرفة، والممكن تيسيرًا وصعوبة.

تهيّؤ الشّخصيَّة (مادّي نَّفسي):

التهيؤ المادّي النَّفسي مكوّن معقّد بين الصّحوة والغفلة، وبين الحاجة ومشبعاتها، وبين المطلب والاستجابة، وبين المزاج والوعي، وبين المرونة والتصلّب، وبين المتهيئ والمأمول، وبين الصّدق والتحايل، وبين الحقّ والواجب، والمشاركة والانطواء، وبين التخطيط والإقدام على العمل.

والتهيؤ المادّي لا يكون إلّا ملموسًا على أرض الواقع وجودًا، وهو نتاج الفكرة المتبيّنة لأمرها، وما ينبغي أن يفعل من أجل النَّفس؛ فالنَّفس متى ما كانت مطمئنّة تحفّزت إلى التدبّر الممكّن من العمل المنتج نفعا.

ومن ثمّ فإنَّ اشتراك الأعضاء المادّية مع الجانب النَّفسي من انفعالات تدخل في تشكُّلات التهيّؤ؛ فعلى سبيل المثال: إذا شاهدت أفعى فسوف ينتابك شعور معين لا نستطيع أن نحكم عليه هو كما هو، بل هو على احتمالات منها:

- أن تكون خائفًا؛ فتفكّر في الفرار؛ فأنت في حالة تهيّؤ.
- أن تكون حذرًا؛ فأنت مهيّأ لتركها وشأنها.
- أن تكون مرتهبًا؛ فأنت مهيّأ لمواجهتها إمَّا للإمساك بها أو لقتلها.

ومع أنَّها ثلاثة احتمالات إلَّا أنَّ الاحتمال الأوّل لم يُعدّ من طبيعة ما يوصف به الثُّعبان؛ فالثّعبان لا يخيف، بل الثُعبان مُرهب، أي أنَّ العاقل هو الذي يُخيف لأنَّه عاقل قادر على التفكّر والتذكُّر والتحايل؛ ومع ذلك

فهو قابل للحوار والجدل الذي يؤدّي إلى معرفة وإدراك قد يؤدّي إلى مراجعة أو حُسن تصرّف، أمّا الثّعبان فهو غير عاقل وبالتّالي القاعدة تنصّ على أنَّ (العاقل يخيف وغير العاقل يُرهب) أي أنَّ الصّاروخ والقنبلة النووية وأيِّ قنبلة أو سلاح فتّاك، وأيِّ حيوان مفترس أو سام هو مُرهب، أمّا العاقل فمجال التفاوض والتسامح حيّزه واسع، والمواقف تتغيّر وتتبدّل في مُعظم الأحيان من سيء إلى أحسن كلّما أحسن الإنسان تصرّفه وتفكيره.

فما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، إنّه يدلّ على أنَّ الإنسان بين التسيير والتخيير (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النَّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)، ولذلك؛ فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغيّر بين سُفلية وارتقاء، وكلّ حسب ما يهيئ الإنسان إليه إرادة.

وعليه:

. هيئ نفسك علمًا ومعرفة.

. هيئ نفسك بُنية.

. هيئ نفسك تطلّعًا.

. هيئ نفسك مشاركًا.

. هيئ نفسك متفهّمًا.

. هيئ نفسك مخيّرًا.

. هيئ نفسك مستوعبًا.

. هيئ نفسك منتجًا.

. هيئ نفسك متحدّيًا.

هيئ نفسك للمتوقَّع وغير المتوقَّع وإلَّا ستواجهك المفاجآت.

تهيّؤ الشّخصيَّة (مادّي نَّفسي عقلي):

التهيؤ كونه قيمة يمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه نفسه وعقله، ويمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه غيره؛ ولهذا كلّ ما هيَّأ الإنسان نفسه كلّما استغنى عن تهيئة الغير له، وهذه من موجبات التهيؤ، ولكن إذا قصر الإنسان عن تهيئة نفسه تجاه الأشياء وتجاه الآخرين، فيكون في حاجة لمد يدّ العون لتأخذه بما يمكن أن يهيئه لما يجب.

والتهيؤ كونه مولود الفكرة والتفكير ومحاولة حُسن التدبّر لا يمكن أن يكون مستقل بذاته، بل لا يكون على الدّلالة والمعنى إلّا إذا تجسّد في الشيء بعد أن ينضج فكرة تامّة، وهذا النّوع من التهيّؤ أعلى من التهيّؤين السابقين، حيث تشترك فيه الأداة المادّية والانفعال النَّفسي الذي مصدره

الشّعور، والجانب العقلي القائم على المعلومات وسلسلة الأفكار ذات العلاقة بموضوع التهيّؤ؛ فالذين يُخرجون من ديارهم بغير حقّ يتهيؤون مادّيّا ونفسيّا وعقليّا للذود عن ديارهم وكرامتهم، حتَّى يردُّوا اعتبارهم واعتبار من له علاقة بهم؛ فهم متهيّئون نفسيّا لردّ الاعتبار، ومتهيّئون ماديّا بتقديم الأنفس والأموال التي بها تخاض الحروب، ومتهيّئون عقليا برسم الخطط وفنون القتال وما يترتَّب على الحروب من نتائج في النّصر أو الهزيمة، ولذا تتداخل معطيات القوّة بين قوى النَّفس وقوى المادّة وقوى العقل في صيرورة معرفيّة، تهيّؤ لِما يجب عندما لا يغفل الإنسان عن أهميّة التحليل الموضوعي للصغيرة قبل الكبيرة، وإن لم يراع ذلك يجد نفسه أمام المواجهة التي لا تعرف الاستثناءات.

فالتهيؤ المادّي والنَّفسي والعقلي هو حُسن تدبّر يستند على التخطط ورسم السياسات تجنّبا للغفلة وما تتركه من أثرٍ سالبٍ؛ فبنو آدم عندما لا تكون لهم آمال، لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا آمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس. ولذا؛ فلا ينبغي الإغفال عن أهمية التهيؤ المادي والعقلي والنَّفسي إن أردنا سلامة ونجاحا وتقدما.

وعليه:

. إنْ تهيّأت انسحب الجُبن من نفسك.

. إنْ تهيأت أصبح الخوف هادفًا.

. إن تهيأت انسحبت الغفلة من عقلك.

. إن تهيأت انسحب الخمول من بدنك.

. إنْ تهيأت اقتربت مما تأمل.

. إنْ تهيأت اقتربت من التأهُّب.

ومع ذلك لا يمكن أن يكون الارتقاء المتهيأ له ماديًّا ونفسيًّا وعقليًّا على حساب الغير، بل ينبغي أن يلتحم مع جهودهم المتهيأة لجمع الشمل وزيادة الإنتاج، أو ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات.

وعليه فمن يهيئ نفسه لارتكاب ما يسيء للغير أو أن يأخذ بما نُهي عنه؛ فسيجد نفسه من النّادمين، كما ندم أبونا آدم بعد أن خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يهيئ نفسه للارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام التي أصبحت أمل بعد أن كانت حقيقة بين يديه.

ولأنّ بني آدم مهيؤون بين ارتقاء ودونيَّة؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وبين ما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشّأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاءً يتهيأ الإنسان له مادّيًا ونفسيًّا وعقليًّا حتى يكون عملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل التهيؤ للعمل الفاسد والرّغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤولية ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُفلية والدونيَّة التي تتمركز على الأنا بأسباب ما يتهيأ له شخصانيا.

الارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا تهيأ مادّيا ونفسيا وعقليا مع الرّغبة عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا تهيأ للظلم والتشدّد والتطرّف، ولذا، في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فمن شاء الارتقاء تهيأ له وعمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار تهيأ له وعمل من أجله سُفليّة[4].

إذن: الشّخصيَّة الجادة عندما تتهيأ للنّهوض تنهض وترتقي إلى ما يؤدّي بها إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما تتهيّأ إلى الانحدار تهوي سُفليَّة في القاع، أي: عندما ترتقي تجد نفسها وكأنّها تحتوي الإنسانية في نفسها،

[4] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق ـ النشوء ـ الارتقاء، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 ص 243.

ولكن عندما تنحدر يصبح عقلها أشبه بعقل الحيوان: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[5].

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونيَّة إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيما هم مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه وبين من هو في دونيَّة.

تهيّؤ الشَّخصيَّة (مادّي نَّفسي عقلي رُّوحي):

عندما يكون التهيؤ في الاتجاه الموجب تصبح الرّوح والمادة والعقل والنَّفس قوّة موحّدة في اتجاه البناء والإعمار والاستخلاف في الأرض، وفي المقابل عندما تفارق النَّفس العقل، أو أن يفارق العقل النَّفس فلا إمكانية للتهيؤ تجاه ما يجب، بل حياة الإنسان تصبح في حاجة للعناية والرّعاية، ولهذا فالتهيؤ التّام الموجب هو الذي يمكّن من بناء الأنا الموجبة والذّات المتفاعلة والنَّفس المطمئنة.

إنّها المعادلة الرّباعيّة التي تهيئ ما يجب أن يهيأ، كما أنّها تهيء من يمكن أن يتهيأ لفعله أو عمله، إنَّه أقوى مستويات التهيّؤ لدى الإنسان حيث وجود التهيّؤ الرُّوحي القائم على يقينيّات الإيمان الكامنة في القلب،

[5] الأعراف 166.

فضلا عن عناصر التهيّؤ الأخرى المادّية والنَّفسية والعقليَّة، ولأنَّه روحي؛ فمكمنه القلب الذي يدرك اليقينيَّات كلَّما تطهَّر من الغَل، والحقد والكره والظلم والحسد، وكلّما هو ذميم الخلق.

وعليه:

فالتهيؤ للارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ارتفاعًا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُفليّة؛ وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة عيشًا رغدًا؛ ومن هنا وجب التهيؤ للعمل المحقّق للعيش النّعيم الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النَّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

إذن: التهيؤ مرحلة مخاض فيه الحيرة تلعب دور رئيسا في إيجاد مخرج منقذ؛ فهي التي تملأ الفكر وتشغله قلقا إلى أن يستبصر أملا يستوجب عملا وجهدا يُبذل في سبيل بلوغه، وهي المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنَّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

ومن هنا فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يُقتنص له حلّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء

استحالة أو إعجازًا أو ممكننًا، حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلّا بعد تهيؤ.

والحيرة تعدّ معطية عقليَّة تميّز الإنسان تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وتستفز الذاكرة بما هو محيّر حتى توقظها إلى ما يجب التهيؤ إليه انتباها، ومن ثمّ؛ فالفِكْر الإنساني يتمركز على نضج الفِكَر، وصوغها في قضيّة تجيب على التساؤل الفلسفي المحيّر وهو: (كيف؟)؛ ذلك لأنَّ الفِكْر ملكة عقليَّة تثيرها مستفزّات المشاهد والملاحظ والمجرد على السّواء؛ فتتعامل معها تفحّصا بلا إشارة قف، ولكن وفقا للمقدرة التي لا تكون إلّا تهيأ.

ولأنّ الكون قد هيّأ للحياة نشوء؛ فنشئت الأرض فيه، ومنها الأزواج نشئت كما هو حال آدم وزوجه وغيرهما من الأزواج المعلومة وغير المعلومة، ثمّ من بعد نشوء الأزواج جاء النشوء التزاوجي من الأزواج كثرة؛ وهذا ما يلفت الإنسان لعقله تفكّرا ليهيئ نفسه لإنشاء ما هو ممكن حتى يبلغ المعجز معجزا والمستحيل مستحيلا. أي ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى كلّ شيء من حوله، ويتسأل:

كيف خُلقت أشياءً؟

كيف كانت الأشياء أشياء؟

ولماذا كانت على الاختلاف والتنوّع؟

أي: ينبغي أن تكون هذه التساؤلات معطية تلفت العقل الإنساني إليها لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوّرة، حيث كلّما تهيأ الإنسان والتفت إلى الأشياء معجزة، اكتشف شيء جديد يمدّه بالمزيد المعرفي؛ فالأرض كونها شيء مليء بالخامات والثروات الثمينة، فمن بلغها اكتشافا ومعرفة تمكّن من تشييد المزيد نشوء حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة ولا يتهيأ إلى المزيد المعرفي؛ فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدونيَّة التي لا تزيده إلّا قلّة شأن.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيّا؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب أنْ لا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[6]؛ ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدونيَّة، ولكن لأنّ الارتقاء والدونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيار، ولذلك، ينبغي أن يتهيأ

[6] البقرة 37.

بنو آدم ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

تهيؤ الشَّخصيَّة لأداء الفعل:

مع أنَّ التهيؤ نفسي عقلي مادّي روحي، فإنَّ المتهيأ له يستوجب الفعل بمعطيات تمكّن من تحقيقه، ومعطيات التهيؤ للفعل قد تكون تلك المستفزّات التي لا تُقبل بأيّ حال من الأحوال، ممّا يجعل الإنسان مهما بلغ من الجبن ليس له إلّا أن يرفض ويتهيأ لتقبّل المؤلم متى ما ترتّب على تلك المستفزّات والمنغصات، ومع أنّ منتجات التهيؤ مستفزّة، فإنّها لا تقتصر على سالبٍ، بل تتعدّاه إلى الموجب والمطمئن؛ حيث فيها من المحرّضات على العمل والبناء والإعمار ما فيها، وفي كثير من الأحيان تتجاوز المطالب الخاصّة إلى المأمولات العامّة.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن هو متوقّع وغير متوقّع وسالب وموجب؛ ولذا فبعض الشّخصيَّات تتهيّأ لأعمال الإصلاح والإعمار، والبعض يتهيّأ لأعمال الإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ، وفي كلِّ الأحوال مع أنَّ التهيّؤ مرحلّة ما قبل الاستعداد والتأهب والفعل إلَّا أنّه لا يمكن أن يكون تهيّؤًا إلَّا بمعطيات وفيها من التضاد ما فيها، ومن هذه المتضادات:

- الحاجة وما يشبعها.

- القيام بالفروض، واتباع السُّنن.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسؤوليّات.

. نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار والاحترام.

. غرس الثّقة.

. الإقصاء والعدوان والإذلال والحرمان.

. التسفيه والاستغفال وتقديم الإهانات والمساس بالكرامة.

. الاحتكار والاستغلال ونشر الفساد.

. السخرية من الدّين أو المساس به وما يتعلّق به من أمر.

. احتلال الأوطان أو القيام بأعمال الإرهاب.

. تزوير الحقائق وشهادة الزور والعمل على طمس الخصوصية.

. الاعتداء على الملكيّة الخاصّة ومصادرة الرّأي.

تقابل تهيّؤات الشّخصيَّة:

العقل والفطنة والاحتراس والحيطة مفاهيم تتماثل ولا تتطابق، ممّا جعل للصدام والنزاع بداية ونهاية، فما يعتقده الأنا في بعض الأحيان صوابًا قد يجهله الآخر أو يغفل عنه، وما يعتقده الآخر صوابًا قد يجهله الأنا أو

يغفل عنه، ولهذا تتّسع الهوّة بين الأنا والآخر بالمعلومة الخاطئة وتضيق بالمعلومة الصّائبة، ولكلٍّ حساباته، ومهما اشتدّت قوانين الاحتراس والفطنة والحيطة ومهما بلغ العقل من التفكُّر والتذكُّر والتدبُّر لا يكون مُحصَّنا من الوقوع في الفخِّ.

ولذلك فالتهيّؤات تتقابل عقلًا وغريزة وكأنّها في مناظرة بين الأنا والآخر؛ فكما أنّ صيادًا يتهيّأ لصيد الطريدة، عند مرحلّة ما قبل الاستعداد للرّمي، فإذا وصل إلى مرحلّة الاستعداد، خضع لقرار الإرادة، وبالتّالي فإنَّ الطريدة تتهيّأ هي الأخرى من خلال استشعارها الخوف عن طريق الغريزة، وهذا الخوف هو الذي جعلها تتهيّأ من أجل الاستعداد للفرار، ولهذا فالحيوان يستمدّ تهيّؤه من غرائزه، أمَّا الإنسان فتهيّؤاته مرتبطة بالعقل الذي به يتطلَّع إلى المستقبل ويُميِّزَ بين ما يجب الإقدام عليه دون تأخير، وما يجب الإحجام عنه دون تردّد.

ولأنَّ التهيّؤ البشري لا يكون إلَّا عن دراية ووعي؛ فإنَّ الدّراية والوعي تستدعي تقدير الآخر واستيعابه، وتفهُّم ظروفه التي تتغيَّر مع تغيُّرات العصر والتطوُّرات التي بها يندفع إلى الأمام، لذا فوقت الفراغ عند الشّباب ما لم يُملى بدراية لابدَّ أن يُملأ بغيرها، وهنا قد تتولّد التأزُّمات بين من يدري ولم يتهيّأ لذلك، وبين من لا يدري فلم يضع اعتبارا للآخرين. لذلك ينبغي أن يكون وقت الفراغ مهيّأ للنّفع لا للضّرر؛ فإذا لم يُحسَن استغلال أوقات الفراغ فإنّها تتحوّل إلى معطية لتدمير طاقات الإنسان كأن يلجأ الشّباب

إلى تعاطي المخدّرات وتناول المسكرات، ممّا يجعلهم على حالة من القلق والملل والتوتّر، وإلى كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحراف أو التطرُّف.

ولذلك فالتهيؤات تتقابل في مساحة الحيرة العقليَّة والفكرية؛ فتتغلّب الواحدة على الأخرى في دائرة الاختيار؛ فيكون الظهور بما هو مقنع للأنا وقد يكون مرضي للغير أيضا، كلّ حسب معاييره المستخدمة في عملية القياس الممكّن من المعرفة عن بيّنة.

وعليه: لا عمل ينفع إلَّا بعد تهيّؤ للبناء والإعمار والإصلاح، ولا علم ينفع إلَّا بعد تهيّؤ لِما هو أعظم، ولا تربية تنفع إلَّا بعد تهيّؤ بالفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النَّاس لتهذيب الأخلاق وتقويم السّلوك، وبناء القدوة الحسنة المتّعظة والمتهيئة لأن توعظ الآخرين عن حُسن سيرة ودون أيّ إكراه.

فالتهيّؤ قوّة دافعة تجاه ما يجب من وجهة نظر المتهيّئ، وهو تحفُّز لإظهار ما هو متهيّئ للظّهور حتى يصبح بين أيدي النّاس قابل للمشاهدة والملاحظة ومحسوس به، وهنا فالتهيّؤ هو الحالة التي يبدو عليها المخلوق في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن الموجب والسّالب (المتوقّع وغير المتوقّع).

صور تهيؤ الشَّخصيَّة:

لتهيؤ الشَّخصيَّة صورتان رئيستان هما:

– التهيّؤ القبلي: وهو الذي لم يسبق لأحدٍ أن تهيأ به، إنّه تهيّؤ الإبداع، إبداع شيء لم يسبق وجوده؛ فاكتشف بأسباب الحاجة بعد تَمكُّن وغوص وبحث وتقصي مُعمَّق.

ولأنَّ التهيؤ دائمًا يسبق العمليّات الفكريّة؛ فهو المحفّز على إبداع الجديد، ومن هنا يظهر التنافس بين المتنافسين في أخذ السّبق ليكون الإبداع حقّ لمن سبق غيره إبداعًا.

ولذا فالتهيؤ القبلي يسبق الصّورة، أي إنّه المؤسّس لها؛ فالصّورة أو الشّكل الذي نحن عليه كان متهيّئًا لدى الخالق قبل أن نخلق، وهكذا كلِّ ما خلق كان التهيّؤ سابق لما خلق، ولأنَّ الأمر كذلك؛ فكل متهيّئ بالأمر كن، يكون صورة بإصدار أمر الكينونة التي يكون عليها متهيّئًا.

ولأنَّ العقل هو مركز التهيؤ، وأنّ التهيؤ يحفّز على التدبّر، فهنا تظهر العلاقة بين من فكّر حتى تهيأت له صورة المتهيء مع أنّها لازالت مختفية في الذّهن، كونها لم تر الشّمس بعد، وبين من يتهيأ عقله إلى استقبالها هيئة كما ظهرت في ذهن وعقل صاحبها الذي كان له السّبق في كشفها معرفة، لينقلها من الهيئة الذّهنية إلى الصّورة والشّكل المشاهد والملاحظ مع كشف قوانينها العلمية والعملية.

فنحن بنو آدم خُلقنا لنفكّر حتى نتبيّن؛ فإن تبيّنا فهمنا وعرفنا وارتقت عقولنا لمعرفة المزيد حتى وإن كان مجرّدا، ومع أنّنا لا نخلق، ولكنّنا نستطيع أن نصنع من الشيء المخلوق أشياء تُخلق، فمتى ما تهيئت الأشياء في عقولنا إبداعًا، ابدعنها شكلًا أو صورة، ولهذا دائمًا التهيؤ يسبق الأشياء وجودًا، فنحن لا نخلق (لا نصنع) شيء إلَّا بعد تهيّؤ صورته لنا قبل أن يكون صورة ماثلة وظاهرة للعيان. ولهذا؛ فالتهيّؤ سابق على القول والفعل، وبدونه لا يكون القول ولا الفعل، وبذلك محدث التهيّؤ هو محدث الفعل والنُّقلة.

. التهيّؤ البعدي: هو ذلك التهيؤ الذي يلاحق المخلوق مشاهدة ويلاحق المنتج إبداعًا، إنّه تهيّؤ استدعائي، أي أنَّ المعرفة قد سبق تلقّيها، وبالتّالي يمكن أن يتمّ استدعاؤها؛ فتستدعى سواء أكانت معلومة أم صورة أم شكل من الأشكال التي وجدت الأشياء عليها مختلفة، أي يُمكن أن تكون الأشياء السّابقة في الذاكرة؛ فتستدعى بما يجعلها دليل شاهد بين النّاس الذين من حقّهم أن يخضعوها للاختبار والقياس والمنطق الذي يقبلها حجّة إن كانت لها مصادق، وفي المقابل يواجهها بحجج إن كانت على غير مصادق تثبتها سابقة علمية (إضافة جديدة).

ومن هنا فالبحث في مفهوم التهيّؤ لا يُعدّ من علم ما وراء الطبيعة وإن كان يدخل فيه شيء من ذلك، إلَّا أنّه بحث في التجريد وإن كانت

مرتكزاته واقعية، وطالما أنّه تجريدي؛ فإنّه يحتلّ المكانة الوسطى بين الواقعي والميتافيزيقي.

ولذا فإنَّ حدود معرفة التهيّؤ، تتوقّف على مستوى ملكات العقل، وبما أنَّ الملكات العقليَّة متفاوتة من شخص لآخر من حيث القدرات، ومتباينة من حيث الأفكار والمعلومات، التي تعتبر أساس البحث في مفهوم التهيّؤ، لذلك يكون الاختلاف في التصوّرات لدى النّاظرين فيه وفق ما يحمل هذا النّاظر أو ذاك من أفكار تنجلي له تصورات التهيّؤ في نفس المتهيئ، لمن يريد أن يقف على التهيّؤ، وهذا لا يغيّر من نفس التهيّؤ في نفسه شيئا، بمعنى أنَّ تصورك لحقيقة ما، لا يغيّر من حقيقة هيئتها شيئًا، وإن تغيّر منها ما تغيّر فلا تكون تلك الحقيقة هي الحقيقة.

ففي قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[7]، يظهر موسى عليه الصَّلاة والسّلام متهيّئا لتلقي الأمر من ربّه، ومتهيّئا للطريقة التي يتمّ بها كشف الجريمة؛ لذلك كان جوابه (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بينما قومه الذين لم يصلوا إلى مرحلة التهيّؤ بهذه الطريقة في إحياء الموتى (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) ثمّ بعد ذلك طلبوا توضيحا يبيّن لهم معلومة تأهلهم للتهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}[8]؛

[7] البقرة 67

[8] البقرة 68

فلمَّا لم يصلوا إلى تلك المرحلة استزادوا: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا}[9]؛ فلم يزل يزدهم إلى أن وصلوا إلى حالة التهيّؤ، أمَّا تهيّؤ موسى عليه الصَّلاة والسّلام؛ فهو ثابت على حقيقته قبل تهيّؤ قومه وبعد تهيّوئهم.

إنَّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وهيئته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له والفلك الذي يدور فيه؛ فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرُّوح والنَّفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سلبها وإيجابها.

ومن ثمّ فكلّما توافرت الأفكار والحجج اتجاه القضيَّة الخارجيّة، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وإذا تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي نقف عليه من خلال قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}[10]، لقد كان التهيّؤ من موسى عليه الصَّلاة والسّلام للإجابة عن منافع العصا وفوائدها! إلَّا أنَّ تحولها المفاجئ إلى أفعى، دفع عاطفة الخوف للسّيطرة على العقل، عند ذلك تسمح الإرادة بالوصول إلى غريزة الفرار، غير أنَّ قوله تعالى (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) ولّد تهيّؤ آخر لتحوّل

---

[9] البقرة 69

[10] طه 18-21

الأفعى إلى عصا مرّة أخرى؛ فهذه العصا ليست كبقية العصيّ، وإنّما قد هيّأها الله تعالى لموسى عليه الصَّلاة والسّلام لإظهار المعجزات من آيات الله تعالى، ومن جانب آخر هو تهيئة لموسى، لأنَّ هذه العصا سوف يكون لها شأن كبير بما هي مهيّأة له، ذلك أنَّ الموقف مع سحر فرعون يحتاج إلى هذا النّوع من التهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}[11]، لقد كان موسى، مهيّأ للحدث وإن كان لا يعلم ماهيّته قبل حدوثه؛ فعندما خيروه بَيْن أن يبدأ فيلقى عصاه، أو أن يكونوا البادئين، وطلب منهم أن يكونوا أوّل من يلقي الحبال والعصي دليل على التهيّؤ لهم، وهو لم يحسّ الخوف من العصي والحبال التي انقلبت إلى ثعابين، ولكن من احتمال أن يتلبس السّحر على النَّاس بالمعجزة؛ فألقى موسى عصاه؛ فإذا بها تنقلب بقدرة الله حيّة كبيرة مخيفة لأنّها مهيّأة لهذا الانقلاب، وهو أيضا مهيّأ لتحوّلات العصا، وليس كالمرّة الأولى(خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) وإنّما الآن أصبح لديه تهيّؤ كامل، وابتلعت كلِّ ما أعدّوه؛ فلمَّا رأى السّحرة تلك

[11] طه 65- 70

المعجزة بادروا إلى السّجود موقنين بصدق موسى عليه الصَّلاة والسّلام، وهذا ما هيأهم الله إليه، وهكذا بالتهيؤ تحدث الأشياء أو تُصنع.

ولم تكن العصا مهيّأة لأن تنقلب أفعى فقط، وإنّما كان لها تهيّؤات مختلفة أوجدها بها المهيئ عزَّ وجلَّ حيث قال: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كلِّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[12]؛ فأيَّ عصا تضرب حجرا حتَّى ينفجر من اثنتا عشرة عينا لو لم تكن مهيّأة لهذا الأمر، ذلك أنَّ قوم موسى أشرفوا على الهلاك من العطش وهم في صحراء سيناء، ولما لم يجدوا ماء وشكوا ذلك إلى موسى، أمرَه الله أن يضرب الحجر بعصاه؛ فانفجر لهم الماء.

وأعظم من هذا هو تهيّؤ هذه العصا لفلق البحر وفرقه حتَّى ينجو بقومه عندما اتبعهم فرعون وجنوده، حيث قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كلِّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}[13]؛ فعندما ضرب البحر بعصاه، انفلق البحر إلى اثني عشر طريقا بعدد طوائف بني إسرائيل، وكان كلِّ طريق من هذه الطرق حاجزا من الماء

---

[12] البقرة 60

[13] الشعراء 61- 63

كالجبل العظيم الثابت الذي لا يطغي واحد منها على الآخر؛ فهذا تهيّؤ عصا موسى عليه الصَّلاة والسّلام.

وعليه: التهيّؤ هو مزيج من الوعي والمعلومات والأفكار وأشياء فطرية، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي (الوجدان) من قضية خارجية؛ فالإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقليَّة والجسمانية والرّوحية في آنٍ واحدً، وهي كذلك في ذات الوقت هي حالاته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل، من خلال التوتّر المتناسق لقوى العقل والجسد والرُّوح معا؛ فتكون على هيأت قادرة على بدء الاستعداد متى شاءت وأين شاءت.

كما يكمن التهيّؤ لدى الإنسان في العواطف التي لها صلة وثيقة بالغرائز؛ فالعاطفة هي التي تنشط الغريزة، وتجعل الإنسان في وضع التهيّؤ، أمّا تجاوز التهيّؤ إلى الاستعداد وخروج الاستعداد إلى الفعل فهذا أمر تتحكّم به الإرادة نتيجة الاستنتاج.

ونستطيع أن نحدِّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ أنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدفع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ، والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى

الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار الذي يسعى به إلى عملية التنفيذ والعمل.

وأمَّا مصدر التهيّؤ بالنّسبة للعاقل؛ فهي الأفكار المكتسبة المكوّنة للعقل، إذ أنّ العقل هو الاتزان في سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، كما أنّ الإرادة هي سلسة الأفعال المماثلة سلبا وإيجابا؛ فالإرادة هي التي تجعل من الإنسان راغبا أو رافضا وبلا ضغوط.

ولذلك فالأفكار هي التي تغذي العواطف، وكلّما تكاثرت الأفكار في قضية ما، اشتدّت العاطفة ودفعت الغريزة إلى ممارسة نشاطها، وممارسة نشاط الغريزة بدفع من العاطفة انطلاقا من الفكرة يؤدّي إلى التهيؤ من أجل ما يمكن أن يفعل.

لذلك نقول المتهيِّئات كامنة في العواطف بتعدُّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوجّ نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة سبات بحيث لا نشعر بوجودها، وأمّا إذا اشتدّت العواطف فإنّها تستدعي معظم أفكار عقلها الخاصّة بالحدث بمؤثّرات خارجية عن طرق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه، وعند صرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي دفعت التهيّؤ للظّهور إلى حين

ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

إنّ السبب في قوّة العقل وسيطرته على عواطفه هو ذوبانها فيه، وذلك عندما يمتصّ قوى تلك العواطف الفكرية، كما أنَّ سيطرة العواطف على العقل وتغلّبها عليه، هو ذوبانه فيها بامتصاصها أغلب أفكاره المقيِّدة للإرادة، ولحظة الصّراع الناتجة عن الأفكار بين العقل من جهة والغريزة بدفع من العاطفة من جهة ثانية إنّما هي لحظة التهيّؤ الذي يواجه حاجز الإرادة التي هي مرحلة بعد التهيّؤ؛ فلا تهيئ إلَّا بإرادة، ولا إرادة إلَّا بتهيؤ، ولكن يظلُّ لكلٍّ مصطلح خصوصيّة في المعنى والدّلالة حتَّى وإن اشترك مع غيره أو أتّحد؛ فالإرادة قرار والتهيّؤ تحفُّز للقول أو الفعل الذي بشأنه يتّخذ القرار.

ولذا فالتهيؤ دائمًا يسبق حتَّى يدفع لاتخاذ القرار الذي بدوره طبيعيّا لا يتخذ إلَّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة. والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يفعل. ولكن ليس دائما الاستعداد وإن سبقه تهيّؤ يؤدّي إلى القول أو الفعل، وذلك بأسباب حدوث الاستجابة قبل القول والفعل، كأن ينتقل الخصم الذي بسببه كان التهيّؤ والاستعداد للانتقال تفاديا لتوتّر المواقف التي لا تحمد عقباها، أو لحدوث غير المتوقّع في الزّمان والمكان المفاجئ، وأن يتمّ التّسامح في دائرة الاعتراف

بالذّنب ووجوب المغفرة والتّسامح، أو أن يحدث الله أمرا، قال تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}[14].

وهذا ما يفسّر لنا قوّة العقل بعد تسلّطه على العاطفة وفرض سيطرته عليها، وكذلك العواطف أقوى ما تكون عندما تكبح جماح العقل وتحجّمه وتخضعه لسيطرتها؛ فيفسح المجال أمام الغريزة، وفي هذه اللحظة أعظم ما يكون التهيّؤ على أشدّه عندما يصطدم بالإرادة التي هي باب الأفعال في الكبح أو السماح، ولولا فرض العقل سيطرته على العواطف لما كان له النشاط المعهود من الحدّة والانتباه بعد تسكين العواطف واختفائها مؤقّتا كونها لازالت قابلة للمستفزات العقليَّة.

وعندما يأخذ من نشاطها تزداد ضعفا ويزداد هو قوّة وانتباها. هذا التبادل العكسي بين العقل والعاطفة إنّما جاء نتيجة المادّة المشتركة التي تغذي كلّا منهما على حدٍّ سواء، ألا وهي الأفكار، ويتجلّى ذلك في اتّحاد العقل والعاطفة، أو موافقة العقل للعاطفة كالحبّ والرّحمة مثلا، لأنَّ المنطق يفرض التّطابق الإيجابي؛ ولذلك يكون الإنسان سريع الاستجابة في مثل هذه المواقف لتطابق العاطفة والعقل في حال الاستنتاج الإيجابي؛ فتسمح الإرادة للتهيّؤ إلى أن يخرج إلى الفعل على وجه السّرعة، على العكس من المواقف التي يكون الاستنتاج فيها سلبي أو ضرر يعود على الإنسان، لذلك يتأخّر اتخاذ قرار الإرادة بسبب التردّد، لأنَّ العقل يستغرق

[14] الشورى 17.

في الاستنتاج للوقوف على إيجابية النتائج، وفي هذا الموقف يكون التهيّؤ في أطول أعماره إذا قسنا ذلك بالزّمن، قبل أن تخمد العاطفة أو تسمح الإرادة بخروج التهيّؤ إلى الاستعداد تلبية لنداء الغريزة.

ويتّضح التهيّؤ بوضوح العلاقة بين العقل والعاطفة والغريزة؛ فالجوع مثلا يؤدّي إلى سيل اللعاب وارتخاء المعدة، وهو تهيّؤ ناتج عن الجوع، وعاطفة الحزن عند اشتدادها تدفع غريزة البكاء للتهيّؤ، وكذلك عاطفة الفرح والسّرور تهيّؤ غريزة الانشراح والابتسامة والضّحك والانبساط، ولكنَّ العاطفة تدفع الغرائز إلى التهيّؤ، وهنا يتدخّل جزء من العقل وهو الإرادة في السّماح أو عدمه بالخروج لهذا التهيّؤ إلى وضع الاستعداد ثمّ إلى الفعل.

فالإرادة تقف حاجزًا أمام التهيّؤ، ثمّ تبدأ ملكات العقل بالتذكّر واستدعاء المعلومات من الذّاكرة، وتبدأ عمليَّة مقارنة بين مخزونات العقل مع وضع التهيّؤ، ومن ثمّ تَعرُض هذا التهيّؤ على تلك المعلومات التي استدعتها الذّاكرة من الحافظة عن طريق التذكّر، وتبدأ عملية البحث عن القيم، بين حلال وحرام، ومكروه ومباح أو مرفوض...إلى آخر ما هنالك، وهنا يتكوّن الاستنتاج الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمّا بالسّماح لهذا التهيّؤ بالخروج لوضع الاستعداد، ومن ثمّ مباشرة الفعل أو كبح جماح العاطفة الذي يؤدّي إلى تهدئة الغريزة، ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيّؤ المتكوّن لفعل قد أريد.

والتهيّؤ في حدِّ ذاته معجزة من المعجزات الدّالة على قدرة الخالق القادر؛ فبالتّأمل في كلِّ ما حولنا نرى أنّه مهيّأ من قبل الواحد الأحد لاستقبالنا نحن البشر، ومهيّأ كذلك ليكون مسخّرا ومذللا لإرادتنا؛ فلو لم يكن ذلك التهيؤ من الله تعالى، هل كان بإمكان شيءٍ الاستقرار على سطح الأرض، أو أنْ يتم اكتشاف المزيد؟

وهل كان لنا نحن البشر من قهر هذه الأرض بالحفريات وشقّ الطّرق بناءٍ وتعمير وزراعةٍ وغيرها من عمليات الإعمار والتعمير؟ وما نحن بالنّسبة للأرض إلَّا كذرّة صغيرة من ذرّاتها، وما قدرتنا وقوّتنا بالمقارنة مع قوى الطّبيعة إلَّا كقوّة طفل صغير مع قوّة جمل ضخم أو فيل؛ فما الذي جعل الأرض تلين لنا، وتستجيب لإرادتنا لولا تهييئها من الله لنا؟

وهذا ما يتّضح من قوله تعالى للملائكة: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[15].

وهذا يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق كلِّ شيء في هذا الكون مهيّأ لما أراد الله تعالى أن يكون عليه، أو لأداء المهمّة التي أرادها الله من خلقه قبل أن يخلقه.

فلقد خلق الله تعالى الأرض وجعلها مسكنًا ومستقرًّا للإنسان فترة معينة، وذلك بعلمه المطلق وقدرته التي لا حدّ لها؛ فجعلها مهيّأة لذلك

[15] البقرة 30 .

كي يعيش عليها، وهيّأ الإنسان نفسه لهذه الحياة؛ فالأرض مهيّأة لاستقبال الإنسان وسائر الكائنات الحيّة الأخرى وفقا للآتي:

– نظام الجاذبية الذي تسير عليه الأرض؛ فلولا هذه الجاذبية لما استقر شيء على وجه الأرض، ولما استطاع الإنسان أن يسير على وجهها ويتحرّك بكلّ يسر وسهولة في التنقّل.

– مهّد الخالق لنا هذه الأرض؛ فلم يجعلها جبالا متّصلة ببعضها البعض؛ فيعجز الإنسان عن المسير والحركة، وكذلك جعل فيها زوجين من كلِّ شيء لكي يهيئ الله تعالى الإنسان لفكرة الزّواج والتكاثر، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}[16].

– هيّأ الخالق الأرض لتهيئة الإنسان لإعمارها والإصلاح فيها، والمحافظة على ينابيعها ونباتها وشجرها ومناخها وكائناتها المتنوّعة؛ فهي مهيّأة في طبيعة خلقها بكلِّ مقومات الحياة التي أراد المهيّئ المطلق أن تنشأ عليها؛ ففيها من المياه التي منها يكون كلِّ شيء حيّا قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}[17]، وفيها الأكسجين الذي يتنفّسه كلِّ الأحياء على وجهها، وفيها من الأملاح والمعادن ما يحيا به النّبات

---

[16] النبأ 6 ، 8.

[17] الأنبياء 30 ،31.

باختلاف أنواعه الذي يحيا عليه الإنسان والحيوان، وجعل فيها الجبال رواسي حتَّى لا تميل، وتبقى ثابتة مستقرّة وجعل، لهم فيها سُبلا وطرقا ممهّدة ليتمكّنوا من السير عليها بيسر وسهولة.

فالأرض مهيّأة من الله تعالى المهيّئ المطلق للحياة، ولكنّها ليست معدّة للزّراعة؛ فيأتي بعد ذلك الإنسان المستخلف فيها والمكلّف بإعمارها من أجل أن يعدّها للزّراعة وفقا لحاجاته ومشبعاتها في دائرة الممكن؛ فيعمل على حفر الآبار، كما يعمل على تسويتها وحراثها وتسميدها، ثمّ يزرع فيها ما أراد من البذور، ثمّ يتوافق تهيّؤ الأرض للحياة مع تهيّؤ البذرة أيضا للنمو والاستفادة من الأرض؛ فتخرج بذلك النباتات بأشكالها وأنواعها، وهنا؛ فالتهيؤ هو تحفُّز لإظهار ما هو متهيّئ للظّهور وفقا لأمر الله ووفقا لما يبذل من جهد إعماري وفلاحي وصناعي.

– هيّأ الشّمس للقيام بالوظائف التي أرادها منها، وهي إعطاء الضوء المناسب للحياة على هذه الأرض، وكذلك الحرارة المناسبة لاستمرارها؛ فهي ليست بالمحرقة ولا المجمّدة لبعدها، وكذلك تقوم بقتل الكثير من الميكروبات والبكتيريا التي لا ترى بالعين، وقد تسبّب الأمراض للإنسان والحيوان، وهذا في حدِّ ذاته تهيئ للأرض لتستقبل الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وأراده أن يكون خليفة عليها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويستمدّ العبر والمواعظ من التاريخ من أجل حاضر فيه الحاجات المتطوّرة تُشبع والمستقبل يُصنع.

– كذلك تتابع الليل والنّهار بانتظام هيّأ للإنسان نظام حياة مريح يستطيع من خلاله تهيئة نفسه للعمل والرّاحة كما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}[18]، وكذلك قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}[19].

والتهيّؤ من حيث الثبات المطلق والنّسبي يرتبط ارتباطا كبيرا بالمهيّئ نفسه؛ فعندما يكون المهيّئ هو المهيّئ المطلق الله عزَّ وجلَّ؛ فلا بدَّ وأن يكون التهيّؤ تهيّئا ثابتا لا يتغيّر بتغير الزّمن والظّروف، لأنَّه تعالى هو العالم المطلق والخالق المطلق الذي لا يمكن أن يغفل عن شيء ثمّ يصححه بعد ذلك، وهو الذي لا يمكن أن يختلف شيء عمّا أراده بسبب تغيّر الظّروف والزّمن المحيطين بذلك الشّيء الذي هيّأه الله لما أراد أن يكون عليه أو يكون منه: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}[20].

وعندما يكون المهيّئ هو المهيّئ بالإضافة (الإنسان) فبكلِّ تأكيد سيكون التهيّؤ ثباته نسبي، وذلك بسبب قصور علمه وتفكيره وقدراته

---

[18] يونس 67.

[19] النبأ 10، 11.

[20] الملك 1 . 3

ومحدوديتها؛ فيكون من الممكن أن يختلف الشيء عمّا هيّأه له المهيّئ بأسباب التعلّم والمعرفة.

فليس هناك إنسان يخلو من التهيّؤ لأيّ فعل من حيث الوعي أو عدمه، وهذا التهيّؤ لا نقول أنَّه ملازم للإرادة، وإن كان يأتي قبلها من حيث الرّتبة، وتكون العلاقة بين التهيّؤ والإرادة متوالية إلى درجة، بحيث إنّ أيّ قرار للإرادة هو مبني على التهيّؤ والإنسان كونه مريدا بالصّفة النسبة؛ فهو متهيّئ لما يريد، والعلاقة بين التهيّؤ والإرادة هي علاقة طرديّة متنامية بصرف النّظر عن نتائج قرار الإرادة؛ وذلك لتباين المؤثّرات النَّفسية والعقليَّة من إنسان إلى آخر، وذلك بسبب تباين مفاهيم القيم ومفاهيم الثقافة والمعرفة الواسعة والخصوصيات التي عليها النّاس اختلافا.

ولتقريب مفاهيم اختلاف التهيّؤ من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، نقول: أن هذا الأمر قائم على اختلاف المؤثّرات من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعية والوضعية، وما ينعكس في النَّفس الإنسانية من مؤثّرات البيئة سواء أكانت الطبيعية أم الاجتماعية، بحيث يظهر أثر هذه المؤثّرات على الجوانب النَّفسية والعقليَّة في تشكل التهيّؤ لدى الأفراد في مجتمع معين، أو التباين بين مجتمعين نتيجة تلك المؤثّرات.

ولتوضيح التباين بين مجتمعين في تشكُّل التهيّؤ نقول مثلا: إنَّ مصطلح الإرهاب غير مفهومه، فما يسوّق اصطلاحا للإرهاب لا علاقة له في اللغة العربية والدّين الإسلامي من قريب ولا من بعيد بالمفهوم الدلالي

للإرهاب، وهنا تكمن مشكلة تستوجب التصحيح والتصويب أو على الأقل التنبيه إليها ولفت الانتباه حتى لا يؤخذ أحد بذنب أحدٍ.

في اللغة العربيّة والدّين الإسلامي الإرهاب فعل مترتّب على إعداد العدّة المضادّة للعدّة والمتماثلة معها في القوّة، والأخذ به واجب طاعة لأمر الله الذي لا يُقر ظلما.

أمّا لدى أهل الغرب؛ فإنَّ الإرهاب هو فعل مخيف للآمنين، والقانون يُجرمُ مرتكبيه، وهو ما يرتبط بالفعل المضاد لاستقرار الأمن واحترام حرّيات الآخرين، وهذا الأمر يقرّه الدّين الإسلامي حيث لا إكراه في الدّين: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[21].

إذن المدى بين اللغة العربيّة والدّين الإسلامي، وبين اللغات الغربية مدى جعل الهوة متّسعة دلالة ومعنى، ولهذا فالمصطلح الذي يُقرّه أهل الغرب للإرهاب لا علاقة له به، وفي اعتقادنا كلا الطّرفين على حقّ، من حيث أنَّ:

. لغة العرب: لا تُقر الإرهاب وفقا للمصطلح الذي تُقرّه اللغة الغربيّة، ولهذا لم يأخذ العرب بمصطلح الإرهاب كما يراه أهل الغرب، وفي مقابل ذلك لم يأخذ أهل الغرب بمصطلح الإرهاب الذي تُقرّه اللغة العربيّة والدّين الإسلام. ولهذا وجب الالتقاء لصوغ المصطلح الحلّ.

[21] البقرة 256.

. المسلمون: دينهم حدّد لهم ماذا يعني الإرهاب دلالة ومعنى، ولهذا فهم لا يرون الإرهاب والأفعال الإرهابية هي ما يقصده ويُفسّره أهل الغرب، ولذا فهم لن يأخذوا بغير ما يرونه أمراً بالنسبة لهم مسلمين طائعين لأمر الله الذي أمرهم بإعداد العدّة المرهبة للعدو، وليس المرهبة لغيره، مصداقا لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[22].

. أهل الغرب: هم الذين يجرّمون الأعمال الإرهابية ويلاحقون أصحابها سواء أكانوا من أهل الشرق أم من أهل الغرب ولا فرق في ذلك. ولكن ما يلاحقون بأسبابه من يلاحقون في حقيقة أمره لم يعدّ ذلك المقصود بمفهوم الإرهاب في اللغة العربية والدّين الإسلامي، بل هو تلك الأعمال والأفعال التي تجري بهدف التخريب والتدمير وسفك الدّماء المحرّم سفكها بغير حقّ، وهذه الأعمال والأفعال لا يُقرّها الدين الإسلامي ولا تعرّفها اللغة العربية بالإرهاب، بل تُعرّفها بالأعمال المفسدة في الأرض، وهذه الأعمال حرّمها الدين الإسلامي ونهى عنها، مصداقا لقوله تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[23].

---

[22] – الأنفال 60.

[23] المائدة 32.

ولذا فإنَّ تهيّؤ المجتمع المسلم يختلف في هذا الموقف ويصطدم معه لتباين التهيّؤ بين المجتمعين؛ فهو يأبى هذا النّوع من الفعل لأنَّه مهيّأ من خلال الدّين والعقيدة والشرع الذي يحرّم قتل النَّفس ظلمًا.

فالمجتمع المسلم لديه تهيّؤ عقائدي ونفسي وذهني وعضوي، بأن تتّخذ الإرادة قرارها وفق هذا التهيّؤ إذا ما وضع أمامها الموضوع.

إذن هذا التهيّؤ في المجتمع المسلم هو إحدى خصائص الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، وكلّ ما يخالف ذلك ليس من الإسلام في شيء.

وعليه أتساءل:

. ما هي مكونات التهيؤ؟

. من أين يستمدّ التهيّؤ؟

. ما هي عناصره التهيّؤ؟

إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء ماديّة وقضايا عقليَّة وانفعالات عاطفيّة ومسائل روحانيّة، وبتلاقح بعض منها مع البعض الآخر يتولّد نوع معين من التهيّؤ في اتجاه معين قابل للخروج إلى مرحلة الاستعداد بهدف ممارسة الفعل، ولذا لا يمكن أن يكون أحادي المصدر، إذ أنّ التهيّؤ الإنساني لا يتكوّن إلَّا من عنصرين على الأقل ممّا ذكرنا، حيث أنّ مكونات التهيّؤ كما سبق ورودها هي:

- ماديَّة وهي الأداة.

- عقليَّة وهي سلسلة الأفكار.

- نفسيَّة وهي انفعالات العواطف.

- روحيَّة وهي يقينيات الإيمان القلبيَّة.

ولا يمكن أن تستكمل متمِّمات التهيّؤ للإنسان إلَّا بوجود التهيّؤ المادّي؛ ذلك لأنَّه الأداة المنفّذة لقرار الإرادة.

الشّخصيَّة تتهيَّأ والأمل لا يفارق:

مع أنَّ الأمل قيمة رفيعة، فإنَّه بدون تهيؤ لا يمكن أن يتم نيله، ولذا فلا يمكن لأيِّ شخصيَّة أن تنال مأمولها ما لم يسبق مأمولها تهيؤ والأمل لا يفارق.

ولأنَّ المأمولَ باعثُ خارجيٌّ، وزمن حدوثه المستقبل المنتظر توقُّعًا، فهو بهذه الصورة لا يمكن نيله إلَّا بحيوَّية التهيؤ التي تبعث في شخصيَّة الإنسان روح البحث والسعي الجاد من أجل ملاحقة مأمولٍ كان مفترضًا، وسيضل المأمول مفترضًا حتى يتم بلوغه أملًا.

وعليه: فالأملُ حيويّة تملأ النَّفس تطلّعا تجاه المأمول رغبة؛ حيث لا يأس ولا قنوط؛ وهو نتاج عزيمة الآمل وإرادته تجاه ما يمكن إنجازه، وفقًا لخطة مرسومة، وإمكانات مُعدَّةٍ، مع وافر التهيؤ والاستعداد والتأهّب للعمل الجاد.

والأمل لم يكن نتاج صدفة، بل نتاج حسن تدبّر عن وعي بعد تفكّر فيما يجب، وتذكّر لما كان غير مرضٍ ولا مقنع، وتطلّع لمستقبل مأمول فيه الأفضل والأجود والأفيد والأنفع والأرفع ارتقاء.

ومن ثمّ فالأمل كونه حيويَّة دافعة تجاه المأمول، هو استنتاج معرفي بعد قراءة واعية لما يجري، وما ينبغي أن يؤخذ تجاهه وفقًا للقوّة المعدّة لمواجهته، وتجاوز ظروفه ومعطياته.

ولأنَّ الأمل قيمة رفيعة، فهو إن لم تبحث عنه وتسعى إليه لا يمكن له أن يبحث عنك ولا يسعى إليك، وإن أردت مصاحبته فعليك بقبول التحدّي، وإلّا لا داعي للَّعب في ميادينه الفسيحة، فإنْ كنت ضيق الصّدر وقاصر الرّؤى؛ فعليك بنفسك أوّلًا؛ حتى تخلّصها مما ألمّ بها من همومها وتزيح من أمامها ما وضع من عوائق، هذا إن رغبت أن تبني لنفسك صرحا من الأمل، وإن لم تفعل ذلك فليس لك إلّا التوهّم والحلم والتمني، فتوهّم، واحلم، وتمنى ما شئت؛ إذ لا يقظة في المقابر.

إنَّ للأمل علاقات مع الزّمن والمأمول فيه في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا وجب على الشخصيَّة المتهيأة أملٌ أنْ تستقرأ وتستنبط ما هو ممكن بعد التفاتةٍ منها إلى الماضي؛ بغاية أخذ العبر، واستيعاب المواعظ، ثمّ تقف عند حاضره؛ لحصر ما لديه من إمكانات، وما يمكن جمعه لإدارة تروس العمل الممكّن من بلوغ المأمول رغبة.

والأمل كونه شعورًا حيويًّا فهو مَكْمَنُ التهيؤ والثّقة في النَّفس المتطلّعة إلى المأمول حتى تناله نتيجة مرضية؛ فالآمل لا يقفز على الزّمن بقدر ما يراه ضرورة لنضج الثمار المستهدف جنيُها، فيعمل من أجل سلامة نضجها حتى تستوي رطبا.

ومن ثمّ فالأمل يحتوي الزّمن من أجل بلوغ المأمول ونيله بلا ملل، والآمل لا تضيق نفسه من الزّمن، الذي يجب أن يكون حاضرا والمأمول لا يفارقه، بل نفسه تضيق إن لم يعمل عبر الزّمن من أجل نيل ما يأمله.

ولأنَّ الأمل يحتوي الزّمن وكأنّه مسافة تستوجب العبور؛ فلا يمكن لآملٍ أن يرى الزّمن عائقا ولا سالبا، بل يراه من موجبات تحقيق الأمل ونيله؛ ولهذا وجب على الآملين حساب الزّمن وإدارته وفقا للأهداف والأغراض والغايات الكامنة من ورائها.

والأمل لا يمكن أن يكون إلّا في الزّمن الحاضر، وفي المقابل المأمول لا يمكن أنْ يكون فيه، فهو بالنسبة إلى العموم لا يكون إلّا في الزّمن المستقبل، ولكن بالنّسبة إلى الخصوص فهو في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ومن هنا يمكن أن يكون المأمول في المستقبل، ويمكن أن يكون في الماضي؛ ولهذا فهم يسعون من أجل بلوغه ونيله أينما كان، فلو كان على سبيل المثال: المأمول هو الجنّة، فهل الجنة تقع في الزّمن الحاضر أم أنّها في الزّمن الماضي؟

أقول:

مع أنَّ الأمل بالنّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، فإنّه بالنّسبة إلى آدم يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقًا؛ ولهذا فالأمل بالنّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنّة التي فُقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، فإنَّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنّ الجنّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍّ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دنيا، ومن ثمّ، فلا ينبغي أن يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما، ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ولأنَّ الخلق فعل الخالق؛ فهو المتحقّق على المشيئة دون رأي لمخلوق في خَلقه، وهنا تكمن الكينونة، التي وجُدت المخلوقات عليها هي كما هي، ومع أنَّ الخَلق مؤسّس على فعل الكينونة (كن)، ولكن للصّيرورة وجودٌ أيضًا؛ فأبونا آدم وزوجه اللذان خُلقًا بكينونة الإنبات من الأرض، خُلقا في أحسن تقويم، الذي فيه صَنعة الحُسن لا تتغيّر.

أمّا الأخلاق والقيم والفضائل فتكتسب وتُعلّم، وتتجسّد في القول والعمل والسّلوك، وقد لا تتجسّد، وهنا تكمن العلّة، التي تؤدّي بمن يتخلّى عن القيم والفضائل إلى الانحدار والدّونية، التي لا تليق بمن خُلق على الارتقاء قمّة.

ولذلك ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنّة على الأرض الدّنيا، التي جُرِّدت من الصّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن هنا أصبح الصّعود للقمّة مطلبًا وأملًا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيء، وكذلك من سيء إلى حَسن؛ قال تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[24]. فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما اختلفوا، بل تخالفوا على ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه.

ولأنَّ العقل مكمن الفكرة، فهو منبع الأمل، ومع أنَّهما معًا من إعمال العقل وفي محفظته، فإنَّ الأمل يتعلّق بالغايات الخارجيَّة، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار

[24] الكهف 29.

الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤوليَّة، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء الممكن من نيل الأمل قمّة.

ولذلك فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ويتهيؤون لها، ثمّ يتأهبون للعمل على إنجازها أو تحقيقها، وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنَّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنّسبة إلى إنجازها أو بلوغها لا يعد إلّا مستقبلًا، وهو الذي يوم بلوغه يصبح حاضرا وكأنّه لم يكن من قبل مستقبلًا.

ومن ثمّ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضٍ ولن يعود؟ وإذا كان كذلك، فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا فمن يعمل، ثمّ يزداد نموًّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه، فمن شاء بلوغه فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء؛ ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الوراء، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوءًا وإبداعًا منتجا لكلّ جديد مفيد يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي

خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم (قمّة).

فالزّمن متَّصلٌ بلا فواصل، وما يسمى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا تزيد عن كونها فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرًا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تعد السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء، ومن خفّت موازنه انحدارًا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلًا.

ولذا فَخَلْقُ الكون مُرتقًا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطًا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[25].

يُفهم من هذه الآية أنَّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونًا أوّلا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنَّه فرصة فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا فأوّل المغتنمين لها استغفارًا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودًا فهي وجود سابق

[25] العنكبوت 20.

على من يرغبها أملًا لاحقًا، ومن هنا فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله ما يحتويه الزّمن وجودا؛ ولذلك فالزّمن هو الزّمن، فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

فالكون الذي كانت بداية الخلق منه حاضرة، هو الكون الذي ستكون نهاية الخلق إليه حاضرة، أي: لا وجود لشيء إلّا في حاضرٍ. وبما أنَّ خلق الكون مُرتقا كان البداية، إذن: فالنّهاية لا تكون إلّا برتقه ثانية، (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ)، التي لا يمكن لنا معرفة كيفيّتها؛ لأنَّ أمر معرفة الكيفيَّة ا مستحيلٌ، ولأنَّه أمر مستحيلٌ؛ فهو خارج دائرة الممكن الذي لا فسحة لنا إلّا في ميادينه.

ولأنَّ شخصيَّة الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهي مؤهّلة لأن ترتقي إلى ما هو أفضل قيمة متى ما تهيأت له، ولأنّ الأمر كذلك فالأمل لا يفارقه؛ ولهذا فالإنسان يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالغاية بالنّسبة إلى من تدبّر أمره في حاضره ارتقاء هي بلوغ ما هو أعظم منه ارتقاء؛ ولهذا فعليه أن يفكّر فيما هو أعظم، وعليه أن يعرف أنّ بلوغه ممكنٌ؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، مهما عمل من الأعمال الحِسان؛ فهو يعلم أنّه بالإمكان بلوغ ما هو أحسن منها؛ ولهذا فلا ينبغي أن يتوقّف نموّا، بل عليه أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن

يعرف أنّ العمل ارتقاء وحده يطوي الهوة بين الأمل والآمل والمأمول والحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

أمَّا التفكّر ارتقاء فهو الذي لم يكن منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبطٌ بهما، ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ولأجل النّهوض ارتقاء؛ وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والآمل؛ وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم، فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبًا مرنًا، وطريقة تستوعب التَّاريخ تجربةً ومنهجًا ووسيلةً.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم فليس له بدٌّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضا، أمّا الاستثناء في ذلك ألا ينهض.

إنَّ الفكر الإنساني الطّموح لا يستهين بالزّمان، بل يعطه قيمة؛ ويثمّنه ساعة بساعة، خوفًا من أن تزداد الهوة اتساعا بينه وبين الأمل المرتقب؛ فهو يخاف الزّمن، وبخاصّة المستقبل منه؛ ذلك لأنّه يجهل ما يُخفيه، ومن ثمّ فلا يثق فيه، كما أنّه لا يثق في الماضي والحاضر؛ لأنّ الماضي قد تركنا دون أن يتأسف علينا، ولا على الماضيين، وكذلك الحاضر مصرّ على ذلك بتنازله عنا برهة ببرهة، ولا يودّ الاستمرار معنا؛ ولهذا فالثّقة

تنعدم في الزّمنين (الماضي والحاضر)، ممّا يجعلنا لا نقصُر تفكيرنا عليهما إلّا لأخذ العبر والمواعظ.

ولذا ينبغي أنْ نفكّر في غيرهما، ولا غير لهما إلّا المستقبل، الذي هو الآخر قد يغدر بآمالنا إنْ لم نَحتَط من غدره؛ ولهذا فلا ثقة في الزّمن، بل الثّقة في العمل؛ فلنعمل على مكانتنا إن شئنا مكانة، ودون تقصير في العمل؛ ذلك لأنَّ التوقّف أو حتى التقصير قليلا يؤخّرنا كثيرا، وعلينا الأخذ بالمناهج التي تُمكننا من الارتقاء بعد أن تعلّمنا كيف نتعلَّم؟ وكيف نفكّر فيما نفكّر فيه؟ وكيف نولّد الحُجّة من الحُجّة؟ وكيف نكتشف أخطاءنا؟ وكيف نصلحها أوّلا بأوّل؟ وكيف ننتقل من التوقّف عند حدود الإصلاح إلى بلوغ الحلّ؟ ومن ثمّ؛ فعلينا ترك تلك المناهج التي تُبلغنا أو تُعلِمُنا بما عَلِمت به، ولا تُحفِّزنا على الارتقاء.

وعليه:

ينبغي أنْ نفكّر بعمق؛ حتى لا تضمر ذاكرتنا، وأن نقارن بين الدّقيق والأدق منه؛ حتى تنشط عقولنا، وتستعيد عافيتها التي تمكّنها من التفكير المتوقّع وغير المتوقّع ارتقاء؛ فالعقول دائمًا في حاجة لأن تُمرّن؛ حتى تمتلك القوّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتُمكّنه من ملاحظة الآخرين وما يدور من حولها.

ومن ثمّ؛ فعلى الإنسان أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم، حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل الآخرين.

فالإنسان إذا أراد ارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الآخرين؛ حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه؛ حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى نفسه تفكيرا حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ، يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة؛ ولهذا فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه حتى يفكّروا في غيره.

والارتقاء أملًا لم يكن نتاج العاطفة، بل هو نتاج حسن تدبّر لصناعة المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، والممكّن من بلوغ الغايات العظام التي تجعل من الإنسان قيمة مقدّرة؛ فينبغي أن يرتقي الإنسان علما ومعرفة وخُلقًا، وأسلوبًا، وإلّا سيجد نفسه في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة؛ فهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويَشَدُّونهم للخلف ممّا يجعل الفارق كبيرا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، والحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة ارتقاء.

وحتى أقرّب مفهوم الأمل، أسوق الأمثلة الآتية اختصارًا:

. أمل الجاهل أن يتخلّص من الجهل؛ فيتوجه إلى من يعلّمه في حالة ما إذا تهيأ لذلك، وأمل العاطل الحصول على فرصة عمل؛ فيسعى حتى يبلغه تهيّأ، وأمل المريض العلاج فيتوجّه إلى الطبيب، وإن أراد شفاء فليسأل الشافي؛ وتوضيحًا لذلك أقول: (الشّفاء) أمل المكسور أن يجبر شفاء، وهنا لا جبّار شافيا للكسر إلّا الشّافي جلّ جلاله، ولكن كيف يكون ذلك على يد الطبيب (المجبِّر)؟

تجيب قاعدة جبر الكسر بالقول الآتي:

بما أنَّ الجبَّار هو القادر وحده على جبر العظم المكسور إلى حيثما كان عليه، إذن: ما يقوم به الطبيب أو الجبّار بالإضافة هو جعل العظام المكسورة في حالة ملامسة لبعضها بعضا، مع تثبيتها بموضوعية في الاتجاه السّليم؛ لإعادة جبرها على الحالة التي كانت عليها قبل أن تتعرض للكسر، وقد يظن بعض النَّاس أنَّ الطبيب يستطيع أن يجبر العظام بما يقوم به من جهد فني وإنساني، والحقيقة أنَّ ما يقوم به الطبيب هو جعل أطراف العظام في حالة ملامسة وعلى حالة من الثبات، أمّا عملية الجبر فلا تتم إلا بنمو العظام في اتجاهها الذي بَذل الطبيب جهد التثبيت بشأنه؛ فالعظام لا تُجبر إلا بقوّة تجعلها في حالة امتداد يتمكّن من خلاله كل متجزئ من ملامسة المتجزئ الآخر، والالتفاف حوله حتى تتمّ عمليات الجبر مع المتجزئات الأخرى، ومن ثمّ مع الأجزاء التي نمت بترابط المتجزئات في اتجاه

جبر الكتلة الواحدة التي تجعل العظام في حالة تماسك وقوّة كما كانت عليه أوّلا.

ومن ثمَّ فإنَّ ما يقوم به الجبّار بالإضافة (المجبّر) لا يزيد عن كونه عملية توكُّل على الجبّار الأعظم؛ حتى يعود العظم مجبورا على ما كان عليه قبل الكسر؛ ولذا فإنّ القاعدة تقول: (اتصال مؤقّت من الجبّار بالإضافة يؤدّي إلى اتصال دائم من الجبّار الدّائم).

إنَّ ما يقوم به الطبيب من جهد مؤقّت في سبيل توصيل العظام المتباعدة بالكسر إلى بعضها هو الجهد المؤقّت، أمّا الاتصال الدائم فهو الذي يتم بأفعال الجبّار الدائم؛ إذ تنمو أمشاج العظام، وتمتد إلى أن تتصل وتتماسك في وحدة واحدة بقوّة الواحد الجبار.

فالعظام لا تجبر إلا بطينتها المنبعثة الحياة فيها، وهذه الطينة وإن وجدت بين يدي الطبيب فإنَّ الحياة لن توجد فيها، فالحياة ديمومة منبعثة لا توجد إلا بيد الحي الدائم، أمّا الحي بالإضافة فكل ما بيده مؤقت؛ ولهذا ما يقوم به من جهد في سبيل تجبير العظام هو جهد مؤقت؛ ولأنّ العظام لا تلتئم إلا بجهد دائم؛ لذا فإنّ التآمها لن يكون إلا بقوّة الجبّار الدائم، فالعظم بعدما يكسر تنفصل الحياة عن جزئه المنفصل عنه، ولأنّ انبعاث الحياة بيد الحي الذي لا يموت؛ إذن: إذا انكسر العظم وفقد انبعاث الحياة فيه فمن هو القادر على إعادتها إليه؟

إنّه الجبار الذي بيده أمر الحياة والموت؛ ولهذا فدور الطبيب أن يجعل العظام المكسورة في حالة تلامس وثبات، أمّا الجبر فليس من مهام الطبيب، قال تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[26]، وكلمة (ننشزها) نجبرها وحدة واحدة بانبعاث الحياة فيها، حتى تصبح قواما تامًّا للهيئة المناسبة لها ثم نكسوها لحما[27].

وكل شيء على الله يسير فهو الذي أنشأ العظام أوّل مرّة من تراب، وهو الأصعب على مستوى التفكير الإنساني، فما بالك بأن يجبرها بعد أن تكسر وهو الأيسر!

ولأنَّ الجبر خلاف الكسر فإنّ الجبّار تعالى يجبر المستقل مع المستقل عنه في علاقة اتصال؛ ولهذا لا أمل في شفاء مخلوق إلّا برضاء الخالق.

ولسائل أن يسأل:

ما علاقة ذلك بالأمل؟

أقول:

إنَّ الأمل في دائرة الممكن يستوجب عملًا وجهدًا يبذل، أمّا الأمل خارج دائرة الممكن فهو لا يكون إلّا معجزة أو مستحيلًا؛ فالممكن هو

---

[26] البقرة 259.

[27] عقيل حسين عقيل، موسوعة أسماء الله من وحي القرآن، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، دمشق بيروت، 2009م، ص 374.

الذي نأمله ارتقاء فنعمل عليه؛ اعتمادًا على جهدنا، وإمكاناتنا، وحسن تدبّرنا، أمّا المعجز: فلا يكون إلّا على أيدي الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، وهؤلاء ختموا بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام، أمّا المستحيل فلا يكون إلّا بأمر الله (كن)، وهو الأمر الذي يجعل العظم مجبورًا.

ومن ثمّ، ينبغي أن يكون الأمل عملًا ودعاءً؛ عملًا يُقدم عليه مع وافر العزيمة ولا قنوط، وعملًا من ورائه لا يبلغ إلّا عبادة، وهنا يكمن الدّعاء (دعاء السّميع القريب المجيب القادر).

وعليه فالأمل لم يكن الرّجاء ولا التفاؤل؛ ذلك لأنَّ الرّجاء توسّلي، وفيه من المطامع ما فيه، ومن يتكئ عليه يجد نفسه معتمدا على غيره؛ ممّا يجعله على استعداد لتقديم التنازلات رجاء.

أمّا التفاؤل فهو انطباع توقّعي استبشاري لمستقبل ما، ولكن الاستبشار قد لا يزيد عن كونه انطباعا نفسيّا مُرضيا لأصحابه؛ لأنّ مفهومه لا يحتوي الإصرار والعزيمة على بلوغ المستبشر من أجله؛ ولذا فهو شعور لا يشترط عملًا ولا جهدا يبذل.

أمّا الأمل: فله من المعطيات والمؤشّرات ما يثبت وجود المستهدف من ورائه؛ ولهذا فلم يكن شيئا متخيلا، بل احتمالات بلوغه في دائرة الممكن متوقّعة، وهو يستوجب عملًا وجهدا يبذل في سبيل بلوغه مع تصميم وعزيمة دون يأس، مع رسم الخطط الممكِّنة منه.

فالأمل لم يكن مجرّد شعورٍ في ذاته، بل هو ذلك الشّعور المملوء طموحا، وهو المرتبط بالزّمن وما يُسجّل في صفحات التاريخ، وهو المتعلّق بما يُمكِن إنجازه، أو تحقيقه، أو بلوغه ونيله.

فالحياة بلا أمل حياة بلا طموح وبلا مستقبل؛ إذ لا مُحفّز على ما يُمكن أن تبذل الجهود من أجله، فالأمل حيويّة منبعثة تُمكّن من طي المسافة بين الرّغبة والمأمول نيله.

ولأنَّه الأمل؛ فهو المستمدّ من منابعه التي يتولّد فيها فكرة من بعد فكرة، والأمل يتطوّر دون توقّف، وهو المتجاوز بأصحابه أسقف التفكير المحدودة إلى تلك التي تُفتح آفاقها أمام المتأمّلين في المشاهد والمجرّد حتى بلوغ معرفة المستحيل مستحيلًا، والمعجز معجزا. كما أنّ الأمل في دائرة الممكن يتحدّى بالآملين الصّعاب، ويدفعهم إلى ما من شأنه أن يُمكّن من بلوغ أعمال الخوارق.

ومع أنَّ مفهوم الأمل من حيث المعنى معلوم، ولكنّه من حيث الفعل يرتدي ثوب التنكير، وسيظل منكرا حتى يفصح أصحاب الأمل عمّا يأملون، أي: سيظل الأمل في ذاته أملا حتى يتجسّد فيما يودّ نيله.

ومن ثم فالحياة الأمل لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملًا محفّزا بالرّغبة والإرادة؛ ولهذا فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمّا الإنسان الآمل؛ فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التأزّمات، وتصنع لهم مستقبلًا يحدث نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق؛ حتى يعرفوا أنّ المعجز معجزٌ.

ولذلك فالواعون دائمًا هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل، الذي يقرِّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

وعليه:

. فكّر فيما يجب قبل وجوبه؛ حتى تكون سبّاقا قبل غيرك.

. اعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

. تحدّى كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُّبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. اصنع أملا؛ فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، واعرف أنّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك؛ حتى تستكشف نقاط ضعفها؛ لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجًا.

. اعمل بحيويّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل الحائل بينك وصناعة الأمل.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق آمالهم، وحفّزهم على التحدّي؛ ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى غير المتوقّع الذي تملؤه الحيويَّة بما يرشد إليه من جديد أكثر وضوحًا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُّفلية والدّونيَّة كما وقع فيها أبونا آدم عليه السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهدافًا أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفا.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرضًا ووراء كلّ غرض أغراض جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أن التقدّم خطوات؛ فأسرع تقدّمًا دون التسرّع.

. اعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنَّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع)؛ ولهذا فلا إطلاق لقوتك؛ ومن هنا

يكون الضّعف والوهن الذي يستوجب الاستعانة بالغير؛ لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة من إنجاز ما يفوق القوّة الفردية؛ ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائمًا لا يتحقّق إلّا بتهيؤ الآملين تهيؤًا نفسيًّا وعقليًّا وبدنيًّا وصحةً وتعليمًا وتأهيلًا وتدريبًا؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ آمال عريضة.

. اعرف أنّ الأمل لا يأتي إليك أبدا، بل الأمل تسعى إليه؛ فأسع فهو ممكن التحقّق، ولكن عملًا.

. بلوغ المأمول يستوجب عدّة وإعدادًا لها فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغ المأمول.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع؛ حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنّفس البشرية، وخير الحوافز والدّوافع (الرّغبة)؛ إذ لا عمل ولا أمل بلا رغبة؛ ذلك لأنّ الأعمال والأمل من دونها تصبح أمنيات ليس إلّا؛ ولهذا فالأمنية شيء لا يستوجب الإقدام عملًا، أمّا الأمل فلا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذًا مع وافر الرّغبة.

. الأمل يستوجب الاستعداد إليه تأهُّبًا وعدة وإعدادًا، ومن ثمّ استعدادا يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

. الأمل يستوجب متأهُّبًا للإقدام على الفعل الممكّن منه أملا، من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو استراتيجيَّة قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يسأل:

ألا تكون العلاقة بين الآملِ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل مع أنَّه لا يزيد عن كونه شعورًا مرغوبًا، فإنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل من دونه يكون اليأس هو ما تمتلئ به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون له من أمل؛ ولذا فإن حدث ذلك أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مرحلة الآمال.

فالأمل حيويّة تولّد طاقة صامتة، أصحابه لا يستسلمون لليأس، بل يتحدونه ويتمرّدون عليه؛ من أجل مأمول مرغوب يحفّز على مزيدٍ من المثابرة حتى بلوغ الخوارق.

ولهذا فالأمل مولود التساؤلات والفرضيات العلميَّة التي تخرج الحائر من حيرته، وهي الموجّة للباحث صوب أهدافه، وللآمل صوب مأمولاته، وهي الممكّنة من معرفة الكيفيَّة التي عليها الأشياء في دائرة الممكن، وهي ذاتها كاشفة للعلاقة بين المشاهد والمجرّد.

إذن: وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس فيه. ومن أراد مزيدا من الآمال؛ فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها، إنَّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النَّاس، إلى جانب المبدع والمنتج الذي يحفّز على مزيد من توليد الأمل وصنعه.

فمنابعُ الأمل هي تلك القيم والمبادئ ذات المعاني والمفاهيم التي يأمل النّاس سيادتها بينهم دلالةً ومعنىً، وهي التي تتجسّد في الأفعال والأعمال والسّلوكيات وتحدث النُّقلة إلى الأفضل والأفيد محبّة ونفعا، كما أنَّها ترتقي بمن سادت بينهم إلى معرفة ما يَكمُن خلف المجرّد وكيفية كمونه.

إنَّها نتاج الموروث الاجتماعي والإنساني المستمدّ من الأعراف والأديان ذات الفضائل الخيّرة التي تحفّز على الارتقاء، وإحداث النُّقلة إلى ما يحقق الإشباع المرضي، كما أنّها ترشد إلى ما يُمكّن من تجسيد القدوة الحسنة، التي تُقدّر الآخرين حتى تحظى بتقديرهم؛ فمنابع الأمل أساسها القيم الحميدة والفضائل الخيرة التي تمكّن من بلوغ الغايات، وهي التي تستوعب المتغيرات دون أن تحدث انتكاسات معرفية أو سلوكية.

فالقيم عندما تنتج المبادئ الأخلاقيَّة قولًا وفعلًا وعملًا وسلوكًا تقود إلى تحقيق المأمول إرادة ورغبة، مع قبول الآخر واحترام خصوصيته التي بها يختلف عن الغير.

ولأنَّها القيم المرضية عن إرادة؛ فالمساس بها ليس بالأمر الهيّن، وهو أيضا لم يكن مستحيلًا؛ ولهذا في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع كل شيء ممكن.

ولأنّ كلّ شيء ممكن؛ فمنابع الأمل قابلة للتقويض، متى ما تولى الأمر فاسدٌ، أو دكتاتورٌ أو محتلٌ لا يُقدّر المقدَّر من قِبل النّاس الذين يتعلّق الأمر بهم، فالقيم مع أنَّها نتاج الإرادة والرّغبة والمنافع المشتركة، ولكنّ التمرّد عليها بإجراءات تعسّفية ممكن؛ فمن يتمكّن من سلب إرادة النّاس قهرا يتمكّن من تقويض القيم عبثا.

وعندما تستولي الأنا العابثة على أمر السّلطة الحاكمة، تصبح الأقوال غير الأفعال، حالها حال أحوَل العينين، الذي يلتفت إلى اتجاهٍ ما ليرى شيئا آخر في الاتجاه الآخر، فنلاحظ في بعض الأحيان أنّ أقوال الحاكم الفاسد تبدو وكأنّها مؤيّدة لفضائل وقيمٍ خيّرة، وفي المقابل أفعاله وأعماله تقوّضها من كلّ جانب؛ فالمفسد يدّعي الإصلاح؛ حتى يظهر نفسه وكأنّه المنقذ.

ولأنَّ القيم تتعرّض للتقويض من قِبل المستبدّين؛ فهي متى ما قوّضت تبدّلت وتبدّل أصحابها؛ وعندما تستبدل القيم عن غير رغبة، ولا إرادة يصبح النفاق سائدا على حساب الصّدق حتَّى تكاد لا تعرف الحقيقة مع قربها منك، وعندما يسود النفاق بين النَّاس بأسباب انعدام الثّقة، يصبح الكذب إلى جانبه سائدًا جنبًا إلى جنبٍ مع التزوير، والخيانة، والغشّ، وإباحة ممتلكات الدّولة.

ولأنَّ الفساد خروجٌ عمّا ترشد إليه منابع الأمل التي ارتضاها النّاس عبر التَّاريخ رغبة وإرادة؛ فستظل المواجهة مع الفساد والفاسدين بين سرٍّ وعلانية ولكلٍّ ثمنه.

ولأنَّ منابع الأمل نتاجٌ جمعيٌّ؛ فالمواجهة معها إن حدثت ستكون مواجهة بين خصوص وعموم، ممّا يجعل ساعة الحسم بينهما ساعة مفاجئة فيها الفساد لن يكون أملا.

ولذا فعندما يُقصى ويُمنع المواطن من ممارسة حقوقه الوطنية يُدفع تطرّفا ليكون على رأس هرم العنف حتى وإن كان من قَبل على مستوى من مستوياته الدّنيا، وهكذا من يستهدف الشّعب بالتكميم والتغييب والإقصاء، سيجد نفسه طرفا معاديا للشّعب ومطاردا من قِبله.

ومنابع الأمل تربط الحاضر بالماضي بهدف استمداد العبر والمواعظ، وتربطه بالمستقبل بغرض إحداث النُّقلة وغاية بلوغ الحلّ الذي لا تأزّم من بعده.

فمنابع الأمل قيمٌ لم تكن مقادير كميّة، بل كيفيَّة على الدّلالة والمعنى تجعل القدر لمن لم يكن له قدرٌ، فترفعه مكانة وقدوة حتى تجعل من رأسه رأس هيبة. وهذا لا يعني أنّها تعاليم تُلقّن؛ بل هي القيم القابلة لأن تتجسّد في الفعل الإنساني عملًا وسلوكًا، إنَّها منابع إحداث التغيير في الزّمن الآن؛ ليكون المستقبل زمنًا حاضرًا.

فتلك القيم الحميدة التي جعلت من معانيها صفات لمتشربيها جعلتهم على المكانة والرّفعة؛ فمن يتشرّب قيمة العدل حتى يتّصف بها عادلا، لا يختلف عمّن تجسّد الصّدق في قوله وفعله حتى أصبح الصّدق صفة لا تفارقه، أي: من يتّصف بالعدل يوصف به عادلا، ومن يتّصف بالصّدق يوصف به صادقا؛ ولهذا فالنّاس متى ما تخالفوا أصبحوا في حاجة لِحَكمٍ عادلٍ وأناس صادقين لا يكتمون شهاداتهم، وهذا الأمر قد لا يتحقّق ما لم تتطابق قيمة العدل مع شخصيَّة الحَكَم أو القاضي أو من كان شاهدًا.

إذن: في الوقت الذي فيه منابع الأمل تزيل المخاوف، هناك ما يُخيف ومن يخيف، فالحاكم غير العادل مُخيفٌ؛ لأنّه لم يأخذ بقيمة العدل، وهذا ما يتخالف مع ما يأمله النّاس؛ فالنّاس يأملون تطبيق العدالة، ولكن عندما يكون الحاكم على غير علاقة مع قيمة العدل فلا عدالة، وهنا تكمن العلّة التي تفصل النّاس عمّا يأملون.

أمَّا الأمل فهو الحيويّة المحفّزة للاندفاع تجاه كلّ ما من شأنه أن يُمكّن من بلوغ الغايات، وهو الحيويّة التي تصهر الرّغبة في الطّموح مع قبول تحدّي الصّعاب.

ومع أنَّ الأمل قيمة، فإنَّه ليس بمادي، فالمادي وإن كان من ورائه أمل فهو لا يُبلغ إلّا بمزيدٍ من الجهد، أمّا الأمل؛ فهو ما يخالج نفس الإنسان تجاه الشيء الذي لا يبلغ إلا بجهدٍ يبذل، ومن هنا فالأمل محفّز نفسي بحيويّة الرّغبة تجاه الغايات التي من ورائها مأمولات؛ ولهذا فمن يفقد المكانة

لن يكون له أمل سوى العودة إليها، وهكذا سيظل الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقده مكانة.

فالمكانة التي لا تتحقّق إلّا بالعمل لن تُبلغ ما لم يكن الأمل من ورائها يُصنع، ولأنّ الأمل في اتجاه بلوغ الغايات لا يتحقّق إلّا عملًا، فسيظل الأمل مفهوما لا معنى له ما لم ينعكس في جهود تبذل بقوّة الرّغبة والإرادة تجاه غايات تُمكّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولهذا فالأمل العظيم يستوجب بذل الجهد مع مقدرة على توليد الفكرة من الفكرة؛ حتى لا يتمّ التوقّف عند حدّ معرفة المشاهد، والقصور عن معرفة المجرّد، قال تعالى: {فانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}[28]، أنزلت هذه الآية بدلالة التمعّن فيما تنظرون إليه من عجائب، والنّظر إلى العجائب يستوجب التفكير في الكيفيَّة التي بها خُلقت العجائب: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[29]، أي: يا بني آدم، لا تستوقفوا عقولكم عند المشاهد، بل مدّوا نظركم إلى الكيفيَّة التي عليها وبها خلقت الأشياء؛ فالنّظر إلى الإبل والسّماء والجبال والأرض ضرورة، لكن الأعظم من ذلك النّظر إلى الكيفيَّة التي بها خُلقت الإبل، الكيفيَّة التي بها رُفعت السّماء، الكيفيَّة التي بها نصبت الجبال، وسُطحت الأرض.

---

[28] العنكبوت 20.

[29] الغاشية 17-20.

هذه الآيات أنزلت بلغة التعجّب (أفلا ينظرون)، فلو نظر بنو آدم لعرفوا، ولو عرفوا لتدبّروا، ولأنّهم لم ينظروا فلن يتذكّروا ما يعظهم، ولن يتدبّروا ما يفيد أمرهم، ولن يفكّروا فيما يجب، وهنا يكمن القصور عمّا يحقّق الأمل.

ولذلك وجب التذكّر؛ حتى لا تتكرّر الأخطاء، ووجب التدبّر دون غفلة عن العبر وما يوعظ، ووجب التفكّر فيما يُمكّن من معرفة الكيفيَّة التي تُمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومعرفة المعجز معجزًا، ومعرفة الممكن ممكنا.

ولا ينبغي أن يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ومن ثمّ؛ يعد التوقّف أو الانكفاء سِمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، ممّا يخلق ارتباكًا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة؛ فالتفكّر ارتقاء لا يكون إلّا واقعا ضمن دوائر متعددة تكون حاضنة له؛ فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه.

والتفكّر ارتقاء هو الذي يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل تكمن فيها معطيات النّهوض الذي يمنح النّاس حياة فيها الآمال تتحقّق[30].

الشّخصيَّة المتهيأة طموحًا:

الشّخصيَّة المتهيأة طموحًا دائمًا غاياتها بين عينها؛ ولذا فهي التي لا تقنط من إمكانيَّة بلوغ غاياتها وفقًا لخطة مرسومة وإمكانيَّات محسوبة واستعداد وعدة، ومن هنا فهي تسعى وتتطلّع وتطمح فيما يحقّق لها الأمن والسَّكينة، فالطموح مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيه تمتدّ الذَّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيّات التي تميّزه عن غيره، وفقًا لقدراته واستعداداته ومواهبه وإمكاناته وعلومه وثقافته وحضارته، ممّا يجعل الشّخصيَّة المتهيأة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحُقق لها الفوائد والمكاسب.

فالشّخصيَّة المتهيأة طموحًا تقترب صفاتها من صفات الشّخصيَّة التطلّعية التي تشغل منطقة وسطًا بين الذَّاتيَّة والموضوعيَّة، وهي مجال النشاط الفكري والسُّلوكي المتميّز عن (الذَّاتيَّة) والمتميّز عن (الموضوعيَّة)،

[30] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م، ص 50 – 74.

ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذَّاتيَّة ومقومات الموضوعيَّة، ممّا جعله قاطعًا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم[31].

وعندما تقتصر رؤى الشّخصيَّة المتهيأة على مكوِّنات الذَّات القيميّة، توصف بالذَّاتيَّة، وعندما تستوعب تلك الرؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشّخصيَّة في هذه الحالة بأنّها المتهيأة طموحًا؛ إذ أنّها تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقّع أو مفترض.

والعيب الذي قد يظهر على هذه الشّخصيَّة المتهيأة طموحًا، أنّه ليس كلّ مفترض أو مطموح فيه يظهر الحقيقة؛ فالمفترض أو المتوقّع المطموح فيه يتطلّب مبررات لإثبات حقيقته من عدمها؛ ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا فعلتْ أو حكمتْ الشّخصيَّة الطموحة وفقًا لافتراضاتها المسبقة؛ فقد تقع في الخطأ؛ ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ؛ فعلى سبيل المثال: القضيَّة التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتبت له حجّة.

عبد الله وقف بعرفات.

إذن: عبد الله كُتبت له حجّة.

---

[31] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

هذه قضية منطقية لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضية لا مصادق لها؛ ولذا يصبح الشكّ فيها، فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفات، فلا تُكتب له الحجّة، وكذلك إذا كان عبد الله موظفًا أو طبيبًا أو حارسًا أو بائعًا، ووقف بعرفات في يوم عرفة، بهدف أداء مهام خدميّة فقط فلا تكتب له حجّة؛ وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون ضامرًا للحجِّ، وقد أدّى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، حتى يصبح الوقوف بعرفات حقيقة لأداء ركن من أركان الحج؛ ولهذا الحوار المنطقي ينبغي ألا يقتصر على تبادل الحجج الوثائقية، بل يجب أن يحتوي أيضا على توفّر النيّة والرّغبة الصادقة في التواصل والترابط والتآخي، وأن تكون الأفعال المصاحبة تهدف إلى كسر القيد الذي يكبّل الإرادة.

وكذلك القضية التي تقول:

كلّ من آمن كُتبت له الجنّة

سعيد آمن

إذن: سعيد كُتبت له الجنّة

نقول:

نعم إنَّ الجنة لا تُكتب إلا لمؤمنٍ، ولكن من هو المؤمن؟

إنَّه الذي يخاف الله.

وهل كلّ المؤمنين يخافون الله؟

نقول:

أكثرهم لا يخافونه، ولهذا ليس دائمًا كلّ من آمن قد كُتبت له الجنّة؛ ولهذا فالأمل العظيم يمكّن منها، أمّا الطّموح فليس بالضرورة؛ لأنّ الطّمح في ذاته لا يزيد عن كونه رغبة جامحة.

وعليه فالإنسان الطّموح هو في حالة تطلّعيّة، لأنّه في حالة نُقلة من التمركز على الذَّات إلى حالة الاتزان النَّفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر.

إذن: الشخصيَّة الطموحة تميل إلى ما يمكن أن يستفيد منه، وهنا الطُموح غير الأمل؛ لأنّ الطُموح يعرّض الطّامحين أحيانًا إلى تقديم التنازلات من أجل الوصول إلى طموحاتهم، وفي المقابل الشّخصيَّة الآملة صانعة نفسها لا تميل إلا وجوبا.

ولذا في بعض الأحيان لا تفارق العاطفة طامحًا، أمّا الأمل فيمكّن الآمل من السيطرة على نفسه؛ فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجالًا جديدًا للعقل والنَّفس بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النَّفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب؛ حيث التطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصيَّة، ويمتد من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه.

وهذا لا يعني أنَّ كلّ ميل هو موجب، فعندما تميل الشّخصيَّة من حالة التمركز على الذَّات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيميّة تصبح الشّخصيَّة على حالة من الإنسحابيَّة؛ فتوصف في هذه الحالة بالشّخصيَّة الإنسحابيَّة التي تتخلّى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه فالتطلُّعية مرحلة من الوعي تُمكّن الذَّات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلّعية هي حالة وعي بالمحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشّخصيَّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذَّاتيَّة) هي ما يدور من حوار بين الرّغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليَّات، في حدود الدين والعرف والقيم السائدة على مستوى المجتمع أو الدّولة؛ حيث ثبات الذَّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع.

ولذا فالشّخصيَّة الطموحة على درجة من التطلّعيّة، وللتمييز بين المستويات القيميّة للشخصية نقول:

1 ـ الأنانيَّة: معيارها الشخصانيّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الإنسحابيَّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا ..).

3 ـ الذَّاتيَّة: معيارها العاطفة (نحن كلّ شيء).

4 . التطلُّعيّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 . الموضوعيَّة: معيارها العقل (نحن سويّا).

وعليه: عندما تخاف الشّخصيَّة الطمحة من المظالم، تتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، وتقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعد ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعيَّة، وتُعد معاييره إنسانيَّة، وفي المقابل عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تميل الشّخصيَّة إلى الموضوعيَّة فتوصف بالتطلّعيّة، وعندما تميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشّخصيَّة في حالة ميلان إلى الأنانيَّة.

ولذا فالشّخصيَّة الطموحة تميل إلى المنطقيَّة التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابًا؛ مصداقًا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[32].

ومع ذلك فالشّخصيَّة المتهيأة الطموحة قد تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، في سبيل أن تمتدّ إلى ما هو مستقبلي، فتميل إلى المغالبة، مغالبة ما يفيد في الزَّمن الآن على ما يجب أن يكون.

[32] . سورة الحشر، الآية 9.

إذن: عندما تخاف الشّخصيَّة، تستشعر بأنّها في حاجة إلى المزيد المعرفي والعلمي والتقني والمزيد العلائقي الذي به تستأمن وتؤمّن مستقبلها، وهي في هذه الحالة ستمتدّ إلى مرحلة ما بعد الذَّاتيَّة، فتصبح تطلُّعيّة على درجة عالية من المزيد المعرفي الممكّن من إحلال السَّكينة محلّ الخوف، ولكن في هذه المرحلة قد يجد الطامح نفسه في موقف بين تطلّع لما يجب وقبول الأمر الواقع.

ومع أنَّ الطموح استشرافي، فإنّه قد يكون على حساب الغير، أي يمكن للطَّامحين أن يضحّوا بالغير؛ ليكونوا على حساب وجودهم، وهذا ما ليس بمأمول عند آمل.

ومع أنَّ كلّا من شخصيَّة الآمل وشخصيَّة الطّامح لا يقبلان وجود سقف يحدّ من التفكير، فإنَّ رؤى الآملين مصنّفة ومقنّنة، أمّا رؤى الطَّامحين فهي في بعض الأحيان تلتقي مع رؤى الحالمين والواهمين؛ فعلى سبيل المثال: إذا كان طموح الطّامح تبوّء منصب في مؤسّسات الدّولة؛ فمن أجل تبوئه قد يتآمر مع المتآمرين وقد يخون، وهذه ليست من شيم الآملين الذين ليس لهم وقت للضياع.

الشخصيَّة المتهيأة تحدِّيًا:

الشّخصيَّة المتهيأة تحدِّيًا هي التي تقبل بالمواجهة الموجبة، وبدون تهوّر، ولا تردّد، وهي التي تعرف أنَّ الصَّعب لا يصمد أمام من يقرّر قبول التحدِّي ويقدم عليه؛ إنَّها الشخصيَّة الواثقة في مقدرتها مع قبولها دفع الثّمن

في سبيل نيل ما هو أهم وأعظم؛ ولهذا فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاءً، لا بدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام الشخصيَّة المتهيأة تحدّيًا، فإنَّه لا تحدّي لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها).

ولأنَّ الممكن ارتقاء يُمكّن الشخصيَّة من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن لتحدّي الصّعاب ارتقاء يُمكّن الشخصيَّة المتحديَّة من أداء العمل الموجب، ومواجهة ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدّافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون إلى

ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعدَّ لتحدي الصّعاب وأقدم عليها ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجيّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب بالنسبة للشخصيَّة المتحدِّية يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعدادا فلا إمكانية؛ حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنَّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما، وتضعف بضعفهما، وحينها لا إمكانية لتحدي

الصّعاب؛ أي لا تحدّي بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم تتمكّن الشخصيَّة المتحديَّة من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب لتحدّي الصّعاب يؤجج في نَّفس الشخصيَّة المتحديَّة حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ إذا فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّت فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكاليَّة على الغير، ومن هنا تصبح الغاية هي تجاوز الإصلاح بحلٍّ وإن كان إصلاح مساندًا.

ولذلك فالغاية بالنسبة للشخصيَّة المتحديَّة من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها

هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل[33].

الشَّخصيَّة المتهيأة تدبُّرًا:

الشّخصيَّة المتهيّأة تدبُّرًا هي التي لا تغفل عمَّا يجب تجاه حاضرها وهي تفكِّر في مستقبلها الآمن، تعرف ما ليها من إمكانات ومقدرة واستطاعة، ثمَّ تعد العدّة للعمل المستهدف تدبُّرًا؛ ولهذا فالتدبُّر مع أنَّه قيمة فإنَّه لا يكون إلَّا عن حيويَّة تدير الأمر الذي يستوجب حُسن التدبُّر، ومع أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا في ساعته، فإنَّه لا يكون إلَّا من أجل المستقبل قريبًا كان أم بعيدًا؛ ولهذا فالحاضر تدبّرًا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطًا وعملًا حتى يعيشه وجودًا كما يأمله، ومن هنا فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ فالتدبّر دراية عقلية يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسة واقتصادا وعلما ومعرفة، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقا للفرضيات التي تأسّست عليها؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر

[33] عقيل حسين عقيل، الشّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م، ص 48 – 56.

ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرا سلبيا.

ويتّسع التدبّر ارتقاءً ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيًّا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائمةً، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلًا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائيًّا، بل وقتيًّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر مثالًا حاصلًا بالكيفيَّة الآنيَّة ما حصل في تشيلي لعمال المناجم بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظُّلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السُّلطات التشيليّة إلّا بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن

التدبّر، فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عمليَّة الإنقاذ، وهناك استعملت في عمليَّة الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليات إنقاذ العمال. فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ فالبداية تدبّرا كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثَّانية؛ فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطة وحذرا لم تكن واحدة بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرا عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

ويتّسع التدبّر ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة إلاّ أنّه لا يكون حلًّا نهائيًّا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرر الحلّ نفسه؛ ولذا أنَّ كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائميَّة، لكنّها في وقتها

قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلا ومنتميا لهذه الافتراضات.

ومن هنا فإنَّ الشّخصيَّة المتدبِّرة تعتبر الحلّ الآني تدبّرًا يسهم في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلّ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلّ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمرارية حقيقية تكون رافدة للعمليَّة المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عمليَّة نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلا ومؤثّرا.

وعليه: تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيَّات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها؛ كي تشغل حيزًا واضحًا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّرا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب.

وعليه:

. تدبّر الحاضر هو تدبّر إشباع حاجات وليس تدبّر زمن.

. حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.

. حُسن التدبّر يجوّد المنتج.

. حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من صناعة المستقبل.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إحداث النُّقلة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. تدبّر الحاضر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إيجاد الحلول.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. تدبّر الحاضر يمكّن من بلوغ الغايات.

. تدبّر الحاضر يحفّز على نيل المأمول.

إذن: يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلّا حاضرًا، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنية التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية، لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقا لما هو ممكن.

وهنا تباشر الشّخصيَّة المتدبِّرة وجودها من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلًا بكيفيَّة متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبّيًا للواقع، ويكون الزّمن مفتوحا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملًا.

والشّخصيَّة المتدبِّرة في حاضرها تبحث عن سُبل كثيرة تريد من خلالها الوصول إلى مبتغاها تدبّرًا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلا وحدوده يمكن تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل وللتمثّل، إلّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبّيًا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب، ذلك أنَّ التدبّر يمرّ دائمًا بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو[34].

وعليه فإنَّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقا؛ ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة هي:

. التواصل مع التَّاريخ.

[34] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

. تقبُّل الآخرين.

. التواصل مع الآخر.

. التواصل مع القدوة.

. التطلّع للمستقبل.

. العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النّافع.

. استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

. عدم التواصل مع التَّاريخ.

. عدم تقبّل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

. عدم التطلّع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفطين ذاكرة العملاء.

. بين لهم نقاط الضّعف التي شوّهت ذاكرتهم وطمستها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكِّنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

. اغرس فيهم حبّ الآخر.

. حفّزهم على التطلّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكّنهم من المشاركة التي تُيسِرَ لهم النُّقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذَّاكرة تُصنع بقوّة الإرادة وقوّة العزيمة التي تخلق شخصيَّة قويّة متدبِّرة متحدية للصّعاب؛ فالشخصيَّة القويَّة المتدبِّرة هي التي لا تغفل عن معطيات الزّمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي، كي تصنع مستقبلا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرّة كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشرية وعلم النّفس والخدمة الاجتماعيَّة على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفطين الذّاكرة وصناعة

المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيفاجؤون بغير المتوقّع، ولذا تُفطّن الذاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

. التواصل مع الفضائل الخيّرة.

. التواصل مع القيم الحميدة.

. التواصل مع المعلومة المستفزّة.

. التواصل مع المختلف.

. الالتفات إلى التاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات.

. التواصل مع أهل القدوة الحسنة.

. التطلّع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة.

. قبول التحدّي.

وعليه:

فحسن التدبر يمكّن من التواصل مع التاريخ ويصنع الذّاكرة، كما أنّه يُمكّن من التواصل مع المستقبل ويحقّق المأمول.

ومن هنا يصبح التدبّر وحسن إدارته مُمكّن من إحداث النُّقلة، ومحقّق للرفعة المأمولة. ولذلك يجب على إخصائي التنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة والرّعاية النفسيَّة إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا يغفلوا عن القواعد المهنية التي تستوجب:

. تقبل العملاء كما هم.

. البدء معهم من حيث هم.

. الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

وهذه لن تتحقّق إلا بمراعاة الآتي:

. تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصّة والعامّة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

. استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

. تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميًّا وثقافيًّا وحضاريًّا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزمن اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

وبما أنَّ ما يُقدّر اجتماعيًّا وإنسانيًّا، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّرًا. إذن على الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وإخصائي التنمية البشرية الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسبانهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقا لأولوياتها وأهميتها بالنّسبة لكلّ منهم.

. أن يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النّسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيون أنّها تتعارض في البدائل القيميَّة المقدّرة اجتماعيًّا أو إنسانيًّا.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

بناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنية للتنمية البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيَّات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافيا ومعرفيا مع الأفراد والجماعات، لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي حادوا عنها بنسب متفاوتة.

. العمل على تمكين العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعيَّة، دون أن يغضّوا النظر عن أهمية قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصّة) حتى لا يُحّلقوا في الهواء، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

إذن ينبغي على كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ أمّة أن يتدبّروا أمورهم وإلّا سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفِخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينّجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفِخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتّسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقّق النقلة.

. تفهّم وافهم لتتمكن من معرفة الأسباب.

وبما أنّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوة الممكّنة من بلوغه (الممكّنة من تحقيق النقلة).

إذن: القوّة المجمّعة في الزّمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي؛ ولذا يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار تخطيطا بين متوقّع وغير متوقّع.

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمّع قواك لتتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذاكرة وما يمكن أن تستقرأه من الغير حتى تتمكّن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

. اتصل وتواصل وثق أنّ الخبرة لا تستمد إلّا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنَّافع حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على حساب قيم مجتمعك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس فالمنافسة الشريفة تصنع الرموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك، حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة للنجاح والتفوّق.

. استوعب، تذّكر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر؛ لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُّقلة بعد حُسن تدبّر[35].

المجالات القيميَّة لتهيُّؤ الشّخصيَّة:

مجالات التهيُّؤ القيمي للشخصيَّة، هي تلك المجالات التي يتولّد فيها التهيؤ ويتمدّد في دائرة الممكن مؤثِّرًا ومتأثِّرًا بما هو موجب أو بما هو سالب، وفي كلتا الحالتين لكلٍّ حيويَّته المحفِّزة على الفعل أو العمل، ومجالات التهيؤ هي: المجال الاجتماعي، والسِّياسي، والاقتصادي، والنَّفسي، والذَّوقي، والثَّقافي.

مجال التهيؤ القيميَّ الاجتماعيّ:

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة على القيم الآتية

. علاقة المجتمع الإنساني .

. علاقة الأمة .

. علاقة الوطن .

---

[35] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 213 – 227.

. علاقة المجتمع المحلي .

. علاقة الأسرة .

. علاقة الزَّوجيَّة .

. علاقة الأخلاق .

. علاقة الكرم .

. علاقة البخل .

. علاقة الصداقة .

. العلاقة بالجنس الآخر .

. علاقة السُّلوك الاجتماعي.

ومن هنا فإنَّ مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة مجال اتصالي، ومكوّن علائقي يجعل الشّخصيَّة في حالة انتماء للمجتمع ويجعل المجتمع في حالة استيعاب للفرد والجماعة، فالقيم التي هي نتاج اجتماعي عام، تستوعب كل الأفراد الذين يتواصلون بها من جيل إلى جيل، وتجعل بينهم روابط معرفيّة تنتج سلوكًا يتجسّد بينهم ويهيأهم إلى العمل وفقًا لما يشبع الحاجة أو يحدث التغيير.

وتتنوّع علائق هذا المجال وتتغيّر أساليبه من مجتمع لأخر ومن مكان لمكان ومن زمان لزمان؛ فعلى سبيل المثال: القيم التي كانت سائدة في

المجتمع العربي قبل الرِّسالة، لم تعد هي ذات القيم التي سادت بعدها، وبعض القيم السَّائدة في المجتمعات الغربيّة تختلف عن بعض القيم السَّائدة في المجتمعات الشرقيّة، وذلك لاختلاف الإطار المرجعي لكل منها، وعليه ليس كل المفروض مرفوض، ولا كل ما هو مُفضّل لدي مجتمع مُفضّل عند المجتمع الآخر، فالعادات والمعتقدات والأفكار في بعض الأحيان تكون في حالة اتصال، وفي بعض الأحيان تكون في حالة حوار أو في حالة اختلاف، وفي حالات أخرى قد تكون في حالة تكامل؛ لذلك يلاحظ التمركز على بعض القيم ويلاحظ التشتت على بعض منها، وفي معظم الأحيان يلاحظ السُّلوك الودّي بين أفراد المجتمع وجماعاته الذين يشتركون في علائق قيميَّة، ويلاحظ في بعض الأحيان السُّلوك العدائي بين الذين ينتمون والذين لا ينتمون، وهكذا تختلف المواقف والأدوار نتيجة لاختلاف الظروف واختلاف القيم والمعتقدات، وهذه جميعها تهيؤ الشخصيَّة إلى العمل والفعل أو تهيؤها إلى الاقدام أو الاحجام.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة مجال بنائي يكوّن الشخصيَّة الاجتماعيَّة المتهيأة للفعل؛ وذلك وفقًا لما تتشرّبه هذه الشّخصيَّة من قيم خيِّرة شريطة أن يكون كلّ شيء عن إرادة، وإذا لم يتم ذلك عن إرادة فإنَّ السُّلوك المناقض للبناء قد يكون هو سلوك الصدارة؛ ولذا فإنَّ التفاعل الموجب الذي تنتجه الإثني عشرة قيمة في هذا المجال الاجتماعي هو الذي يقوّي عاطفة الانتماء والرّوابط القيميَّة الاجتماعيَّة بين الأفراد

والجماعات والمجتمعات ويحفِّزهم على التهيؤ للفعل والعمل، مما يجعل الضَّمير (**نحن**) هو الضَّمير السَّائد بينهم بدلًا من الضَّمير (**أنا**) الذي في كثير من الأحيان يؤدّي إلى الصِّدام والفرقة.

ويعتبر مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة تهيؤًا هو رأس مال المجتمع، الذي تسود فيه قيم التعاون والتفاعل والمنافسة والمشاركة، عندما يولي المجتمع اهتمامًا بالتنمية البشريَّة لأفراده وجماعاته، سواء على مستوي الأسرة أو جماعات العمل أو على مستوي الإدارات الحكوميّة والإدارات الخاصَّة.

إذن: القيم الاجتماعيَّة في هذا المجال تهيئ الأفراد والجماعات إلى التفاعل الممكِّن من تنمية رأس المال الاجتماعي وبناء الشّخصيَّة الفعَّالة، التي تكتسب الثقة وإن كانت غير مكتوبة؛ ذلك لأنَّ الثِّقة غير المكتوبة هي التي يتطابق فيها مضمون الضَّمير مع الفعل والسُّلوك، وعندما يتطابق ما يحتوي عليه الضَّمير مع الفعل والسُّلوك فلا داعي لكتابة المواثيق التي تزوّر وتخترق كلّما تهيئة الظّروف المصاحبة إليها. وعندما تتوافر الثِّقة غير المكتوبة، تصبح مصدرًا للاحترام الذي يُقدّر فيه الأنا والأخر؛ فعلى سبيل المثال: الثِّقة بين الموظفين سواء أكانوا موظفي قطاع خاص أم عام، وسواء أكانوا موظفي أجهزة أمنيّة أو تجاريّة، عندما تسود الثِّقة بينهم في أساليب العمل، تؤدِّي إلى تطوّر العمل، وتطوّر الوحدات العاملة من خلال تبادل المعلومات المفيدة التي بها تهيؤا وتطوَّروا.

وعليه: كلما كانت القيم الاجتماعيَّة بنائيَّة هيأت إلى التفاعل الاجتماعي، وكلما كانت قيم العمل الاجتماعي هادفة هيأت إلى بناء الشّخصيَّة الاجتماعيَّة مهارة وقدوة حسنة.

ويحتوي مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة على العلائق الآتية:

. علائق قيميَّة طبيعيَّة.

كالعلاقة الأسريَّة، والعلاقة العائليّة، والعلاقة القبليّة، وعلاقة الأمَّة التي تكوّن الذَّات العامَّة المشتركة للأفراد والجماعات، وتغرس في نفوسهم عاطفة الحبّ وروح الانتماء، وهذه القيم الخيِّرة تهيئ الأفراد والجماعات إلى التعاون والتعاضد وتزيدهم قوَّة تماسك من أجل ما هو أفضل وأجود لهم جميعًا.

. علائق قيميَّة ضروريَّة:

كالعلائق بين رفاق العمل، ورفاق الحِرف والمهن، ورفاق التعليم والتعلُّم، وهذه العلائق قد تكون بين بني الأمّة، أو مع الآخرين، فعندما تكون بين أبناء الأمَّة أو الوطن تحتويها عاطفة الأصل والانتماء، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المهنة المؤقّتة، وهذه القيم تهيئ الشّخصيَّة إلى استيعاب الآخرين رابطة اجتماعيَّة ورابطة مهنيَّة.

. علائق قيميَّة اختياريّة:

كالعلاقة مع رفاق المناشط الرِّياضيَّة والفنيّة والمسرحيّة والموسيقيّة والثَّقافيَّة، أو رفاق الحفلّات والرّحلات السّياحيّة؛ فعندما تكون هذه العلائق الاختياريّة بين أفراد الأمَّة وجماعاتها، فإنَّ عاطفة الأصل والانتماء هي التي تسودها، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المناشط المتنوِّعة وعاطفتها المؤقتة التي هيأها التفاعل من خلال ممارسة الشَّخصيَّة لأنشطتها التي رغبتها عن إرادة.

ولذا فإنَّ تهيؤ الشّخصّيَة إلى الانفتاح الموجب على الغير يهيأها إلى تلقي المزيد المعرفي الذي بدوره يزيدها مقدرة ومهارة، ويفتح أمامها آفاق جديدة تمكّنها من المزيد المعرفي.

إنَّ استيعاب القيم الاجتماعيَّ المتطلّعة تُهيئ الشّخصيَّة إلى التطلُّع الممكِّن من المزيد الثقافي الممكن هو الآخر من النّهوض وعن دراية استيعابيَّة من خلال تقبُّل الآخر والتعامل معه؛ كونه قيمة إنسانيَّة، ومن هنا تُفتح أبواب الحوارات الجادَّة التي تجعل الشّخصيَّة متهيأة إلى الدّراية الواسعة؛ فتصبح شخصيَّة تقبل وترفض وكل شيء عن وعي ومعرفة تامَّة.

ولذا فالعلاقات التي تُمكّن المتحاورين من التفاهم هي العلاقات التي تؤسّس على المنطق، الذي به تتهيأ الشخصيَّة لمعرفة الكيفيَّة التي بها يفكِّر الآخر، فالاختلاف أو الخلاف على سبيل المثال الذي يظهر بين الحين والحين بين العرب والأوروبيين، أو بين الصّينيين والأمريكان، أو بين الهنود والباكستانيين، يعود في أساسه إلى عدم إلمامهم بالكيفيَّة التي يفكّر بها

الآخر، والمنطق الذي يستوعبه ويحلل به عقليَّة الآخر، الذي ينظر من خلاله بأنَّ الآخر يشكّل خطرًا على وجوده أو على مصالحه أو على ثقافته ومعتقداته.

ومع أنّهم يعرفون ويجيدون لغة الحوار، فإنَّهم يراهنون على الوقت، لعله يأتي بمتغيرات جديدة تؤدِّي بأحد الأطراف من أن ينسحب من الميدان، أو لأجل أن يتحصّل الطّرف الضّعيف كما يعتقد على عوامل القوَّة في المستقبل لكي يتمكن من المغالبة أو إثبات الوجود.

مجال التهيؤ القيميَّ الإنتاجي:

عمليَّة الإنتاج المتطوّر أصبحت عمليَّة معقّدة بقوانين لا يفك لغزها إلَّا القضاة، ومع أنَّها عمليَّة معقدة، فإنَّها أكثر المجالات المهيأة للمزيد المعرفي سواء معرفة النَّاس، أم معرفة العلوم والتقنيات، أم معرفة الإنتاج ومدى جودته من عدمها.

ولذا لم تعد مواصفات الإنتاج كما كانت مقتصرة على صفات ذلك الإنتاج البدائي، بل أصبح الإنتاج يُحسّن، مما استوجب ضرورة التهيؤ إلى دخول ميادينه، وهي الميادين التي لا تُفتح إلَّا لمن هيأ نفسه إلى المنافسة.

ولذا أصبح الإنتاج يؤدّي إلى توليد الشيء من الشيء، الذي بدوره يؤدّي إلى الكثرة والتضاعف، كما أنَّه يؤدّي إلى التنوَّع، مما يستوجب إدارة للإنتاج تتهيأ له وتنقله إلى أسواق الطلب والرّغبة، فالإدارة تكون وسيلة

النجاح إذا تهيأت شخصيَّاتها لملاحقة المنتجين في ميادين الإنتاج وملاحقة المستهلكين في ميادين البيع والشراء، وهذا يعني توسع دائرة امتداد هذا المجال المتطوِّر من حالة الإنتاج الأوَّلي إلى حالة الإنتاج التقني المعقد، ومن حالة العلاقة المباشرة بالطبيعة إلى حالة النُّقلة للتحسين والجودة، التي تمكِّنه من دخول ميادين المنافسة الحرَّة وتجاوز الصِّعاب.

الإدارة الإنتاجيَّة المنافسة هي الإدارة المتهيأة لخلق علاقات في الظّروف الصّعبة، والتي تُحسُن الكيفيَّة التي يُقدّم بها الإنتاج إلى الراغبين؛ ولذلك فإنَّ الإدارة الملاحقة تختلف عن الإدارة الثابتة، التي تنتظر الزبائن ليأتوا إليها؛ لكي تقدِّم لهم أفضل الخدمات، هذه إدارة المساكين الذين لم يعرفوا بعد حاجة السُّوق، والمتغيرات العالميّة؛ حيث أصبح البيع والشِّراء من خلال شبكات الإنترنت وشبكات الاتصال المتنوِّعة والمتطوِّرة، والإدارة الملاحقة هي التي ينبغي أن تتهيأ في تقديم خدماتها على الآتي:

1 . التنوَّع في الأساليب:

ا . أساليب تقديم الخدمة المتنوِّعة.

ب . أساليب العرض المختلفة.

ج . الأساليب الظرفيّة، الظروف الموضوعيَّة للحالات المختلفة، ظروف المسؤولين تختلف عن ظروف العاملين وعن ظروف المنتجين والمستهلكين، وظروف الدّول والحكومات تختلف عن ظروف الأفراد

والجماعات، التي في حاجة للخدمات، فيجب أن تكون الإدارة قادرة على التأقلم مع الظروف المختلفة، والمواقيت والأماكن المختلفة التي في حاجة للخدمات الإدارية المنافسة.

2 . **السُّرعة**:

أ . سرعة الحركة في التنقل.

ب . سرعة الاستيعاب.

ج . سرعة الاستجابة الأفضل.

3 . **الخبرة المتنوِّعة**: التطوّر العلمي والتقني بشكل خاصّ، والتغيرات السريعة في حركة الإنتاج، تتطلّب خبرات متنوِّعة؛ ولذا سيكون المستقبل أفضل للذين لهم خبرة وتهيأوا إلى معرفة المزيد من الخبرة، أمَّا الذين لا يمتلكوا إلا خبرة واحدة فقد يطول زمن وقوفهم في صفوف الباحثين عن العمل، وقد تكون لهم مقاعدًا مع الجالسين على الرَّصيف.

4 . **التخصّص**:

العالم اليوم مليء بالتخصّصات المتنوِّعة والمتعدّدة، وميادين الإنتاج في حاجة لهذا التنوَّع والتعدد من التخصصات؛ ولذا لا يمكن أن تكون الإدارة ناجحة وقادرة على المنافسة ما لم تعتمد أهميَّة التخصص وتتهيأ إلى العمل به؛ ولكي تستطيع الملاحقة الهادفة فعليها أن تعرف أن التخصصات في حالة تجدّد وتبدّل وتغيّر وتأهّل فلا تتأخر عن التهيؤ لها.

5 . القدرة على توليد المعرفة:

لم يُعد كل شيء ثابت، السّياسات متغيّرة والاقتصاد متغيّر، والعلاقات الاجتماعيَّة في حالة تبدُّل، والحاجات متطوِّرة، والرَّغبات كثيرة والسّعي إلى الأفضل مطلب عام، وفلسفة الحياة ليس من أجل اليوم، فمن يمتلك القدرة على أن يفكر في المستقبل ويتهيأ لصناعته يفوز، ومن لن يعمل على صناعة المستقبل ويتهيأ له سيجد نفسه في عمليَّة حسابيّة مع مجموع المستهلكين.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة يحتوي على خمسة علائق قيميَّة كل منها يؤدّي إلى الإنتاج سواء كان هذا الإنتاج ماديًّا (إنتاج السُّوق) الذي تترتب عليه قيم البيع والشراء، وارتفاع مستوى الدخل أو انخفاضه، أو إنتاجًا معرفيًّا (إنتاج المعلومة والفكرة) التي تثري ما سبق، وتدعم ما في الآن، وتسعى لصناعة المستقبل؛ ولذا فإنَّ التقنية (مولود الفكرة) تتطوَّر وتتنوَّع وتتجدَد مع كل جديد.

ويحتوي مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة على بدائل قيميَّة معياريَّة لقياس معارف المبحوثين وتقديراتهم لهذه القيم أو تفهمهم إليها، ويترتَّب على ذلك التعرُّف على اتجاهاتهم ومستوياتهم القياسيّة من خلال اختياراتهم للبدائل القيميَّة لكل علاقة من علائق مجال القيم الإنتاجيَّة.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة هو مجال امتداد الفكرة والتهيؤ لها، ونقلها وفقًا للمطالب والحاجات والرغبات ووفقًا لسياسة السُّوق، ولهذا

فالفكرة لا تعترف بالحدود، إن لم تُحترم في مكان معين قد تلاقي كل الاحترام والتقدير في مكان آخر، المهم أنَّها فكرة منتجة للمعرفة الجديدة والمفيدة، وهي في حالة تطوّر مستمر وقادرة على المنافسة، فالسُّوق الذي كان مقتصرًا على البيع والشِّراء لما هو منتج ماديًّا، أصبح المستوعب للتعامل مع الفكرة والمفكرين، فدخلت الفكرة السُّوق كغيرها من المنتجات الأخرى، ودخل المفكرين معها للسُّوق، وكان اللبس والغموض عند البعض حين قالوا أن المفكرين يباعون ويشترون كغيرهم من السلع والبضائع الأخرى، إنَّها لم تكن حقيقة، الحقيقة هي بيع الفكرة وشراء الفكرة، ولأنَّها فكرة فلا مكان إليها إلا عقل المفكر؛ ولذا يُنقل المفكرين من مكان إلى مكان للمحافظة على الفكرة وحافظها، كل السلع والمنتجات المتنوِّعة تنقل في العُلب المختلفة، وتحفظ في حافظات مادّيَّة إلا الفكرة لا تُحمل في مثل ما تُحمل به المنتجات الأخرى.

وهكذا دخلت المهارة السُّوق كما دخلته الفكرة، ومع أنَّ الفارق كبير بين الفكرة والمهارة إلا أنّهما دخلا نفس السُّوق، وخضعا إلى أساليب المزاد العلني، من يدفع أكثر يربح المزاد، مزاد بيع السُّلوك (المهارة)، وبيع المعلومة (الفكرة)، اللاعبين الرّياضيين أسعار مهاراتهم بالملايين، وأسعار الفكرة أكثر، والفرق بين أساليب التعامل مع السُّلوك والفكرة هو أن المهارة تؤجّر ويُدفع الثمن للذي يُجيدها، وعندما تنتهي مدة الإيجار ينتقل بها

صاحبها أينما يشاء، أمَّا الفكرة فتُشترى، وعندما يرحل صاحبها تستقل عنه بما تنتج في السُّوق.

ويعتبر هذا المجال ألعلائقي مجالًا لتحقيق المنفعة القابلة للقياس بالإنتاج الذي يتطلب إدارة ملاحِقة (تلاحق المنتجين لتمدهم بالخدمة التي تمكنهم من زيادة الإنتاج)، إدارة تتفهم ظروفهم ومتطلباتهم كما تتفهم احتياجات المستهلكين وتتهيأ لما هو غير متوقَّع؛ كونها الإدارة المتطوّرة والراغبة في زيادة عدد الزَّبائن.

وعليه فأنَّ مبدأ المنفعة جعل الإنسان في حالة تهيؤ ومنافسة مع الآلة بدلًا من منافسته للآخر من بني جنسه؛ ولذا أصبحت الآلة تحلّ محل الإنسان غير المتهيئ للمنافسة في العمليَّة الإنتاجيَّة، فإذا كان الجهد المبذول يقل قيميًّا عن العائد منه فلا بد أن تكون الخسارة هي المبعدة عن ميادين المنافسة الحرَّة.

إذن: مجال العلائق القيمة الإنتاجيَّة مجال توسعي وقيّمه سريعة التطوُّر، والامتداد فيه يعتمد على المزيد من التهيؤ لمزيدٍ من الإنتاج الأكثر جودة، ومن هنا أصبحت وكفّة النجاح تساوي كفّة السقوط، وفي هذا العصر سيكون مكان المنتجين مرموقًا إذا كان إنتاجهم قادرًا على المنافسة الحرَّة، وسيكون في الهاوية إذا لم يتمكّن من المنافسة.

والعالم اليوم قرية صغيرة، يمكن عبوره والترحال فيه بكل يُسر، فمن ينتج ولا يعلن عن إنتاجه، فلن يلتفت إليه أحد، اليوم عصر الإنتاج المباشر

والإعلانات المباشرة، وعليه فالإعلانات التي تداع اليوم في كل المحطات المرئيَّة لن يكون لها مستقبل، فالمستقبل سيكون للإعلانات المباشرة (الإعلان عن طريق النقل المباشر) نتيجة السّرعة والتنوَّع والفائض الإنتاجي، ومن هنا رسمت الصّين استراتيجيَّاتها ورسمت على الخريطة العالميّة طريق الحرير العابر للقارات وهو القادم على اجتياح الأسواق تجارة وثقافة.

ومع ذلك فإنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة في عصر العولمة هو مجال اندماجي، فتلك الشركات غير القادرة على المنافسة إن لم تندمج في شركات كبرى أو تتحد مع مجموعة كبيرة من الشّركات الصّغرى لتشكل شركة قادرة، إن لم تفعل ذلك لا بد وأن تسقط من ميادين المنافسة الحرَّة، ولن تجد لها مكانا في مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة، وحتى الشركات الكبرى إذا أرادت أن تكون في الصدارة العالمية لا خيار إليها إلا الاندماج.

ومن هنا فتوازن الذَّات في مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة يؤدّي إلى إظهار سمة الاستمرار الاجتماعي؛ حيث توازن الفكرة يستوجب توازن الفعل والسُّلوك، وإذا أنعدم التَّوزان أنعدم اعتدال الحركة، وظهرت الميولات؛ ولذا بمنطق القيم الاجتماعيَّة ينبغي المحافظة على الذاتيَّة (الشخصيَّة المعتدلة) عند الدخول إلى السُّوق وعند الخروج منه، وهذا لا يعني أنْ لا تكون متطلّعة لِما يؤدّي إلى صناعة المستقبل، بل التَّوزان من أجل الاستمرار، وقد تجد الشخصيَّة المتهيأة بين خمس اختيارات وهي في حاجة للتَّوازن:

1 . التَّوزان بين الحاجات وأساليب إشباعها.

2 . التَّوزان بين رغبات الأنا ورغبات الذَّات.

3 . التَّوزان بين ما يجب وما لا يجب.

4 . التَّوزان بين الثَّقافة والسُّلوك.

5 . التَّوزان بين الحقوق والواجبات والمسؤوليَّات.

إنَّ تحقيق كل هذه التَّوازنات قد يكون أمرًا صعبًا، في مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة، فإذا أردنا دخول المنافسة الحرَّة، التي في بعض الأحيان لا تستوجب التَّوزان ولا الاعتماد على الأخلاق؛ علينا أن نعرف إنَّ من أهم أسباب السقوط في ميادين المنافسة الحرَّة أن تعتمد الشخصيَّة على وجوبيَّة منطق التَّوزان والأخلاق؛ حيث أنَّ منطق المنافسة في عصر العولمة، هو (كن قادرًا)، أو لا تحتجَّ على أحدٍ إذا مُرّغَ أنفُكَ في التُراب، وليكن في علمك لن يقف إلى جانبك أحد، وعليك بمراجعة القوانين الدوليَّة التي تحمي القادرين على المنافسة.

وعليه تحليل مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة يمكّن البحاثة من التعرُّف على مدى تهيؤ الشخصيَّة لدخول مجالات المنافسة الإنتاجيَّة وفقًا للآتي:

1 . جهد يؤدّي إلى الإنتاج يؤدّي للإشباع ويحقِّق منفعة.

2 . جهد يؤدّي إلى الإنتاج ولا يؤدّي للإشباع لا يحقِّق منفعة.

3 . جهد يؤدّي إلى الإنتاج، يؤدّي إلى الزائد عن الإشباع، يحقِّق الفائض عن المنفعة.

4 . جهد لا يؤدّي إلى الإنتاج لا يؤدّي للإشباع ولا يحقِّق منفعة.

5 . لا جهد يؤدّي إلى الإنتاج لا إشباع ولا منفعة.

وبناء على النقاط السَّابقة تُقيّم اختيارات المبحوثين للبدائل القيميَّة؛ حيث هناك من يرى في العمليَّة الإنتاجيَّة التباهي والادعاء والفرجة، وهناك من يراها استهلاك أو تسابق وانبهار، أو تخطيط وتصميم وسرعة وتنوّع، وآخر قد يراها فقر وبطالة مما يجعله عالة على الآخرين.

إنَّ تحليل المجال ألعلائقي للقيم الإنتاجيَّة يتطلّب معامل الخماسي التي تُمكّن البحاث من التعرُّف على ما يؤثّر على العمليَّة الإنتاجيَّة وما يثريها ماديًّا ومعرفيًّا، وما يؤثِّر على الأفراد والجماعات المنتجة والمستهلكة في وقت واحد، فهناك من ينظر للعمليَّة الإنتاجيَّة بالمنظور الشّخصاني، وهناك من يراها بنظرة العاطفة الذاتيَّة والبعض يتأرجح في اختياراته بين الانسحاب أو أن يكون المنطق أسلوبًا في سلوكه، في حين تكون الفرصة سانحة للموضوعيَّة التي يسودها العقل؛ ونظرًا لأنَّ العمليَّة الإنتاجيَّة واحدة، تداخلت هذه القيم الخمسة لإظهار هذا المجال ألعلائقي وإبراز أهميّته على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات البحثيّة.

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة على العلائق الآتية:

1 . العلاقة الاقتصاديَّة.

2 . العلاقة الإبداعيَّة.

3 . العلاقة العمليَّة.

4 . العلاقة التقنيّة.

5 . العلاقة الإنجازيَّة.

مجال التهيؤ القيميَّ النَّفسي:

يحتوي هذا المجال على سبعة علائق قيميَّة تؤثر في علائق أخرى وتتأثر بها، تفيد في التحليل النَّفسي للأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال التعرُّف على تهيؤاتهم واتجاهاتهم وميولهم والقيم التي يتمسّكوا بها، أو التي يحيدون عنها مما يجعلهم يتخذون مواقفًا وأدوارًا متباينة وتختلف من وقت لآخر.

يتكون مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة من سبعة علائق هي:

1 . علاقة الشخصيَّة.

2 . علاقة إثبات الذَّات.

3 . العلاقة الضَّميريَّة.

4 . علاقة الواجب.

5 . علاقة الحقيقة.

6 . علاقة الواقع.

7 . العلاقة الجنسيَّة.

ولذا في مجال التهيؤ القيمي النفسي تظهر النَّفس المعتدلة متهيأة للفعل والعمل؛ وذلك من خلال ما لديها من اتزان يهيّئها لممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليَّات، وهي التي لا تبالغ لغرض شخصاني أو طمع فردي، بل أنَّها تفكر بما يذيبها في الضَّمير الاجتماعي، في سلوكها الفردي لا تغفل عن الضَّمير (نحن)، نحن الأسرة، نحن المجتمع المحلي، نحن الأمّة، نحن القيّم (نحن الضَّمير العام)؛ مصداقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ}[36]، ولهذا فالأنفس المهتدية لها ذات واحدة وضميرها (نحن) والنَّفس الضَّالة هي الخارجة عن الذَّات وضميرها (أنا).

إنَّها الشخصيَّة التي تُفكر بعقل المجتمع الذي تنتمي إليه، تتقيد بالقيم السَّائدة المستمدة من المعتقدات والأعراف المكونة للإطار المرجعي، تعتبر المجتمع الذي تنتمي إليه مجتمع أفضل قيميًّا من غيره، وفي معظم الأحيان تكون في حالة تهيؤ للانحياز إليه عند كل ظرف، ولهذا قد توصف الشخصيَّة من قبل الآخر بالانطوائيَّة؛ حيث قصور رؤاها على رواء المجتمع وعدم تفاعلها موضوعيًّا مع غيره من المجتمعات أو الأفراد، وتبالغ في عرض ذاتها على ذوات الآخرين، تتشبَّث بخصوصيَّاتها الاجتماعيَّة، تقاوم

[36] المائدة 105.

الاختراق حتى وإن كان ذا فوائد موجبة، تعتز بالانتماء الأسري والعشائري والقبلي والانتماء إلى الأمَّة، ثقافتها بسيطة، وهذا ما يجعل علاقاتها مع الآخرين سطحيّة (عدم اكتراث) غير مبالية بما يجري في محيطها الإنساني، تنتظر التغيير ولا تقدم عليه، ترفض الآخر الموضوعي وتقبل الأنا المنتمية إليها، تتابع الأفراد في حقوقهم وواجباتهم ومسؤوليَّاتهم، وتتحمّل الأعباء المترتبة على مشاركتهم، ولا تنظر للحقيقة كوحدة واحدة، بل تنظر إليها على أساس التجزئة؛ إذ أنَّها ترفض الحقيقة التي تستوجب الموضوعيَّة في التقييم؛ ذلك لأنَّها تتعصّب إلى عرقها، أو جنسها أو مهنتها، أو قريتها ومدينتها وبلدها، حتى وإن كان الخطأ والسَّلبيَّة هما السَّائدين فيها، وتقبل الإصلاح من الدّاخل، وترفضه من الخارج.

مثل هذه الشخصيَّة لا تتهيأ إلَّا لما هو ذاتي اجتماعي، وهذا يعني أنَّها غير قادرة على التهيؤ المستوعب للغير، أمَّا الشخصيَّة المتطلعة فهي المتهيأة للتمسك بالموروث الاجتماعي، وفي نفس الوقت متطلّعة ومتهيأة لاستيعاب الأفضل على مستوى الذَّات ومستوى الآخر، ولهذا فلها في الاعتدال وفي قول الحق منطق؛ ولذا فهي تعرف أنَّ إنكار الحقيقة لا يُلغيها، وعليه أنَّ الشخصيَّة المتهيأة المتطلّعة هي التي تتمسَّك بحقوقها وتؤدِّي واجباتها وتتحمّل مسؤوليَّاتها وتعترف بأنَّ للآخرين ما يماثل ما لها.

إنَّ هذا المستوى هو مستوى ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة، وفيه تعيش الشخصيَّة حالة التقمص؛ حيث تستعير شخصيَّة الآخر وتسعى للذوبان

فيها، باعتبارها القدوة التي تعتقد إنَّها الأفضل، وهذا يدل على أن الشخصيَّة في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يكون، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكر ويسعى لأن يكون على مستوى نفسي أفضل، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة، وهذه الظّروف تمكّنه أيضًا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها سواء في حالة التمركز التام أم في حالة التطلع لِما ينبغي، هذه هي الشخصيَّة المتطلّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كل تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كل ظرف وكل حالة، لا تعمم سلوكيَّاتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنَّها الشخصيَّة التي توصف بذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقَّع منطقي.

مجال التهيؤ القيميَّ السِّياسي:

يحتوي مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة على العلائق الآتية:

1 . علاقة الفكر.

2 . علاقة السِّياسة.

3 . علاقة السُّلطة.

4 . علاقة الموقع.

5 . علاقة الاستقلاليَّة.

6 . علاقة الحرّيّة.

وتكمن في هذه العلائق القيميَّة الست عناصر القوَّة الدَّاعمة للإرادة والقامعة إليها في وقتٍ واحدٍ، وهذا ما يجعل السُّلوك البشري في حالة تماثل مع الفعل أو في حالة تناقض معه، مما يؤدّي إلى التفاعل والمشاركة والوحدة، أو يؤدّي إلى الرَّفض والتمرّد والصدام، أو أن يؤدّي إلى الخنوع والادعاء والنفاق السياسي.

ولا يمكن أن تمتد الشخصيَّة في هذا المجال وتتهيأ ما لم تكن قادرة على التفاعل مع متغيراته القيميَّة، وتتمكن من معرفة الفروق بين مفاهيم ودلائل بدائله المعياريَّة، وقبل أن تَقدِمَ الشخصيَّة على الفعل ينبغي أن تتهيأ إلى بلوغ المستويات الآتية:

1 . المعرفة:

المعرفة بالسياسة ليس بالأمر الهين، فهي في كثير من الأحيان تكون أفعالها مخالفة للمفهوم المتوقَّع، والصدق فيها نسبي، والأمر الواقع سيِّدًا في مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة، وكل شيء قابل للتغيير فلا تثق، وإن قسمت بربك تَحنُث، فعليك بالمعرفة قبل أن تَقدِم.

2 . الوعي:

هناك من لا يفرِّق بين المشاهد الذي يعتمد في التعرُّف عليه بوسيلة النّظر البصريَّة، وبين الملاحظ الذي يعتمد التعرُّف عليه بالوعي، فالمشاهدة

ليست الملاحظة، كل الحيوانات تشاهد ولا تلاحظ، إلا الإنسان الذي ميزه الله بأحسن تقويم قادر على الملاحظة، لكن وللأسف البعض من بني الإنسان ملاحظاتهم بسيطة فلا تمكنهم من بلوغ الوعي، وهؤلاء حالهم كحال الأسماك التي ترى شِباك الصِّيادين وتقع في الفخ، والوعي بهذا المجال لا يتم إلا إذا تمكنت الشخصيَّة من كشف العلاقة التي تربط قيمه بخيط لا يشاهد.

3 . الإرادة:

هي مكمن قيم الاختيار، فلا إرادة إلَّا بعد معرفة ووعي، وهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وبعد التنفيذ يتم تحمل المسؤوليَّة تجاه أي أعباء قد تترتَّب عليه، ونتائج الفعل الإرادي مُرضية للفاعل حتى وأن كانت النتائج الأوَّليَّة سالبة؛ ولذا فإعادة الكرَّةُ أمرٌ مرغوب من أجل تحقيق الموجب، والتحييد عن الأمر أو الفعل الإرادي أمر ليس بالسهل، ولكنه ليس بالأمر المستحيل، والقناعة هي القوَّة الدَّافعة للسُّلوك الإرادي. فالإقدام بلا إرادة قد ينقلب إلى إحجام أو يؤدّي إلى نكوص.

4 . التقدير:

مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة يجعل الإنسان في ظروف ينبغي أن تُقدّر، فالحاجة قد تجعل البعض في حالة ضعف، فيترتب عليها ارتكاب أفعال وسُلوكيَّات يوصف مرتكبيها بأنَّهم مسلوبو الإرادة، والجهل بحقائق الأمور قد يجعلهم في حالة سلوكيَّة سالبة، والخوف والطمع والمصلحة، هي

الأخرى قد تجعل الإنسان في حالة ضعف وحاجة، وقد تجبره على أن يُظهر ما لا يُبطن؛ أيضًا الموقع أو المركز الوظيفي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، يُحمّل الإنسان ما لم يستطع أحيانًا، أو أن يجعله يمارس دورًا لا يمكن أن يسلكوه لو لم يكن في أحد مواقع المسؤوليَّة، ومع ذلك لكل شيء ثمن قد لا يُقدّر في لغة القواميس السِّياسيَّة، وكذلك في لغة القاموس الاجتماعي الذي ينتظر الإصلاح في كل حين، ولكن بموضوعيَّة ينبغي أن لا نغفل عن لغة التقدير المتبادل.

5 ـ القدرة:

القدرة على التمييز بين ما ينبغي وما يجب؛ فما ينبغي مفهوم تفضيلي، وما يجب مفهوم وجوبي لا مجال للتفضيل والاختيار في أدائه، فعندما يفعل الإنسان أو يقدم على أداء الأفعال في ظروف تسمح له بالاختيار ينبغي أن يختار الأحسن أو الأفضل، ولكن عندما يؤدّي مهام لها صلاحيَّات واختصاصات محدَّدة بمسؤوليَّات فيجب عليه أداءها، فالحقوق يجب أن تؤخذ، والواجبات يجب أن تؤدّى والمسؤوليَّات يجب أن يتم تحمُّلها؛ ذلك لأنَّها ليست مجال اختيار، فالقدرة هي التي تؤدِّي إلى توليد الإرادة التي تمكّن الفاعل من أداء الأفعال، سواء كانت في مجال التفضيل أم في مجال الوجوب، ومن لا يمتلك القدرة لا يمكن أن تكون له إرادة، والقدرة كفعل تستوجب التمكّن من الآتي:

أ ـ التمكّن من اتخاذ القرار.

ب ـ التمكّن من التنفيذ.

ج ـ التمكّن من المتابعة.

د ـ التمكّن من التقييم.

ر ـ التمكّن من المراجعة.

ز ـ التمكّن من التصحيح.

وعليه: لا يمكن أن يكون التعاون أو المنافسة بين الأفراد إذا لم يتمكنوا من اتخاذ القرار الذي يمكنهم من ذلك، وبالطبع سيكون الأفراد قادرين على التنفيذ إذا امتلكوا الإرادة، وعندما يكونوا قادرين على اتخاذ القرار والتنفيذ فبالضرورة يكونوا قادرين على المتابعة والتقييم والمراجعة التي تمكنهم من التصحيح والتصويب.

ولهذا فمجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة، مجال امتدادي تمتد فيه التنظيرات والأفكار كما تمتد فيه التطبيقات والأفعال الملاحقة بالتماثل والملاحقة بعدم تماثل، وهذا الذي جعل بعض الممارسات والتطبيقات في حالة اختلاف مع التنظير، وبدون شك أنَّ للرّغبات والميول والمصالح أثرًا على الفعل والسُّلوك سواء في حالة الإقدام أم في حالة الإحجام؛ فالفكر قد يجعل الإنسان في حالة ميول إلى ما يجب والابتعاد عما لا يجب، أو أن يجعله في الحالة المعاكسة لذلك، وهذا ما يجعل سلوكه في حالة انقياد وتبعية، أو في حالة تعاطف، أو في حالة اختلاف وتصادم، وهكذا قد

تكون الشخصيَّة في حالة خنوع أو حياد أو تمرد أو حوار بين الأنا والآخر. وبناء عليه يوصف النظام السياسي بأنَّه ديمقراطي أو استبدادي أو فوضوي.

ويحتوي هذا المجال أيضًا على خمسة بدائل معياريَّة لكلٍّ علاقة من العلائق القيميَّة، وأنَّ كلّ بديل من البدائل القيميَّة يتماثل مع قطاع من قطاعات خماسي تحليل القيم الذي يتكون من الأنانيَّة، والإنسحابيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة)، وذاتيَّة، وتطلُّعيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة)، والموضوعيَّة؛ ولذلك تتباين اختيارات المبحوثين من مجتمع لآخر ومن موضوع لآخر، فما يراه البعض مناسبًا أو مفضَّلًا في اختياراتهم للبدائل القيميَّة قد لا يراه البعض الآخر كذلك، أو أنَّهم يروا ما هو أفضل؛ ولذا تتأثَّر اختيارات المبحوثين بالمتغيرات السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والنَّفسيَّة والذّوقيَّة والثَّقافيَّة.

مجال التهيؤ القيميَّ الذّوقي:

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة على العلائق التي تهيئ الشّخصيَّة وتتجاوز بها حالة الإحساس بالمشاهد إلى حالة الإحساس بالمجرد؛ فعلى سبيل المثال: القيمة الحسّيَّة بالجميل لا تقتصر على النظر إلى المشاهد فقط، بل تتعداه إلى الإحساس بقيمة الجمال المجرد (الذي يكمن في الجميل).

ومن هنا فالذَّوق ملكة من ملكات العقل الإنساني، يتمكّن من خلالها المتذوق من المعرفة الوافية، التي تمكّنه من كشف العلائق التي تتجسّد في المذاق، وكشف العلائق التي تربطه بالمجرد، فهي لا تقتصر عند حد المشاهد، بل تمتد لتشمل ما هو ملاحظ؛ ولذا ترتبط هذه الملكة الحسية العقليَّة بملكة التفكر والتذكر، مما يجعل عند صاحبها نضر (حسن المظهر وحسن الرونق) في تفكيره ذوق، في سلوكه وحركته توازن ذوقي، في اختياراته وتعبيراته اللفظيَّة والحركيَّة حُسن أداء يلامس حاسة التقدير عند الآخر إلى أن يحقِّق لها الفطنة، ويولِّد عندها الانتباه، فتصحو وكأنَّها كانت في حالة غفلة عن محيطها الذي يملأه الجمال، فتسموا معه (مع الذَّوق) إلى مناغاة الجميل، وعندما تصحو يصبح للنظرات لغة ومعنى، وللهمسات لغة ومعنى، وكذلك للصَّمت لغة ومعنى، وعندما يصلا الاثنين إلى السّمو المشترك يكون التوحّد هو لغة التفاهم التي لا تقبل بالحدود.

وفي الملكة الذّوقيَّة تنعدم الغفلة، وتسود الفطنة، فتخاطب كل خلية ما يماثلها من خليّة، وعندما يحدث التوحّد الإرادي يتحقّق السُّمو الذي يمكّن المتحدينِ من العيش في ميادين نشوة الذَّوق الرَّفيع، وعليه فإنَّ الذَّوق ملكة تحقق الاندماج الحسي الذي لا يمكن التعرُّف عليه بسهولة أو هكذا ضربة عشواء.

ويُعد مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة مجال التهيؤ للرُّقي القيمي سواء كانت هذه القيم ظاهرة في المشاهد أم كامنة في مضمون الفكرة والنّص،

أو أنَّها كامنة في الملاحظ؛ ولذا فهي الملكة الإدراكيَّة التي لا تتم إلا بالتفحُّص والتأمُّل الواعيين اللذين يمكِّنان الشخصيَّة من معرفة ما تدل عليه الآيات العظام في المشاهد أو الملاحظ، هذه الملكة دائمًا في حاجة للاستثارة لأجل المعرفة الوافية، والإحساس الرَّفيع، وعندما تستثار الملكة الذّوقيَّة يحدث الاسترشاد إلى الحُسن والاستمتاع بالرونق في الكلمة وفي الفعل والسُّلوك الذي يثير الفسحة الرَّفيعة والطمأنينة في النَّفس، ويترتَّب على هذه الفسحة الشُّعور بالانجذاب تجاه المصدر الذي استفزَّ الملكة الذّوقيَّة التي تُمكّن الإنسان من أن يُضفي على المصدر أو الموضوع الذَّوقي مسحة من خصوصّيته ونشوة من تفاعله.

والتذوق دليل اندماج الفرد مع المصدر أو الموضوع الذي تَمكّن من الانتشار والسّريان فيه، فتتمكّن خفاياه وأسراره من الامتداد في النَّفس لتطمئن وتسمو مع الخيال إلى أن تهدءا بملامسة الذَّوق المحقق للإشباع الحسي والمعرفي.

وعليه فإنَّ توحّد الأحاسيس والمشاعر مع الخيال يؤدّي إلى الرُّقي الذي يلامس القيم التي تعزز الإرادة وتحقق التفاعل الوجداني بين الرغبات والطموحات التي تُمكّن الفرد من استكشاف الحُسن الممتد في المسافة بين المشاهد والمجرد.

ويدل مجال القيم الذّوقيَّة على سلامة عقل المتذوق ومزاجه، وهذا لا يعني أنَّ الذَّوق حاسة مزاجية، بل الذَّوق حاسة عقليَّة وملكة تنمو كلما تُنشَّط، وتضعف وقد تنتهي كلما تُهمل.

ومن هنا فالعلماء والمفكرين والحكماء والشُّعراء والفنَّانين في معظم الأوقات هم ذوي ملكات ذوقيَّة ومخيّلة إدراكيّة رفيعة؛ ولذا لا يمكن أن يكون ضعيف القدرات العقليَّة ممن يمتلكون ملكة الذَّوق الرَّفيع.

ولأنَّ الذَّوق مكوّن قيمي، فيجب أن نتعرّف على معاييره ومقاييسه التي تُمكّننا من تقدير قيمه المادّيَّة والمجرّدة، فالجمال كقيمة ذوقيّة لا يَكمُن في ذاته، بل يكمن في الجميل مشاهدٍ أو مجردٍ، حركة أو سكون، إظهارٍ أو إدغام، تجويدٍ أو لحنٍ، لونٍ أو نغمةٍ، وعليه لا يمكن أن يوصف الجمال بذاته، بل يوصف بالجميل الذي توحّد أو اشتمل فيه.

ومن ثمَّ فالقيم الذّوقيَّة إيحائية، تستفز من يفكر ذوقيًّا، ثم تتركه وهلة يفكر، وتظهر له ثانية لتجعله يتأمل، وتتركه ليفكر من جديد، وفي المرة الثَّالثة تُظهر له ما ينبسط به فيبتسم ويتابع فيتأمل بنضر، وعندما يعرف يتعلق بالفكرة والصورة والعلائق التي تربط المضامين أو المشهد والنَّص، ومع ذلك قد تكون في البداية الإيحاءات الذّوقيَّة وكأنَّها ضرب من المستحيل، ثم تفاجئك بأنَّها في دائرة الممكن، وعندما تظهر في الذاكرة تنتقل إلى ملكة الذَّوق وكأنَّها تلتحف بسترة الكمال المرتبط بأفعال المحبَّة والبهجة والسُّرور.

ولهذا في مجال العلائق الذّوقيَّة رفعة في الحس تؤدِّي إلى السُّمو العقلي والمعرفي الذي يُمكّن الإنسان من الاطلاع على الكامن والإحساس به والتعرُّف عليه مثلما يتعرف على النغمة الكامنة في المعزوفة، والصور البلاغية الكامنة في المقطوعة الشعرية، والسيناريو الكامن في النَّص، والقصة الكامنة في اللوحة الفنية، والنشوة الكامنة في السعادة، والإعجاز الكامن في آيات الخالق.

ولذا يحتوي مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة على سبعة علائق تُتمّم بعضها البعض في تفطين العقل الإنساني من الغياب إلى الحضور ومن المشاهد إلى المجرد (من النظر إلى المخلوق إلى النظر إلى الكيفيَّة التي خلق بها وخلق عليها)؛ ولذا فإنَّ للذّوق أثرًا على السُّلوك والفعل؛ حيث يجعل الإنسان في حالة بهجة وتفاؤل وعطاء، أو في حالة راحة وتعجب واستبصار، أو في حالة تقرّب وخضوع وترويح، والذَّوق كمحقق للرّفعة الحسّية يتطلّب التذكر والتفكّر والتأمُّل.

ويعد هذا المجال العلائقي مجالا لتحقيق السمو القيمي الرَّفيع الذي يبرز أهميَّة الذَّوق العقلي والوجداني لِما يشاهد ولِما يلاحظ وعندما يتحقق هذا السمو تصبح اللذّة ذوقًا حسّيًّا يحقِّق المتعة، فعندما تسبح في البحر وقت الغروب تربطك متعة الشفق الذي يُلوّنُكَ مع ماء البحر وصفاء السماء بسترة لونه الذهبي الذي لا عيار له إلا الذَّوق، حينها بإمكانك

أن تكتب على السماء ما تشاء وأنت تسبح في البحر، وبإمكانك أن تجول بين عالم الواقع وعالم الأمل دون أن تترك العوم.

وعليه: الذَّوق نتاج حسي له أثر سلوكي يظهر في الفكرة وفي الكلمة المنطوقة والمسموعة والمكتوبة، ولهذا فإنَّ الذَّوق تمييزي وليس مزاجي، فيه الأصالة والصفاء وفيه الحسن واللباقة؛ ولذا فإنَّ النَّفس تطمئن وتنتشي بالقيم الذّوقيَّة، فمِن مشاهدة وملاحظة الجميل يدرك العقل الجمال ويلامسه السمو؛ حيث ترتبط قيم هذا المجال بالآخر الذي في مكوناته القيم الذّوقيَّة سواء كان إنسانًا أم جمادًا أم نباتًا أم حيوانًا.

ومع أنَّ مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة يشكل وحدة واحدة إلا أنَّ الإحساس بأثر هذه القيم يختلف من شخص لآخر ومن ظرف إلى ظرف، ومن جنس إلى جنس آخر، مما يستوجب تطبيق الخماسي على البدائل المعياريَّة لكل قيمة من قيم هذا المجال لكي يتمكن البحّاثة من معرفة أثر المتغيرات على اختيارات المبحوثين، التي تجعل منهم الأنانيون، والذَّاتيون الذين يميلون إلى الأنانيَّة، والذَّاتيون، أو تجعل منهم ذاتيون يميلون إلى الموضوعيَّة، أو تجعلهم موضوعيون.

مجال التهيؤ القيمي الثَّقافي:

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة في خماسي عقيل لتحليل القيم عل سبعة قيم، لكل قيمة من القيم خمسة بدائل معياريَّة كغيرها من بدائل العلائق القيمة للمجالات السَّابقة الذكر حيث يتماثل كل بديل مع قطاع

من قطاعات الخماسي الذي يُمكِّن البحّاثة من التعرُّف على أنماط التفكير القيمي السَّائدة في مجتمع البحث أو الدِّراسة.

أنَّ قيم هذا المجال العلائقي هي دائمًا في حالة حركة وامتداد فكري؛ حيث أنَّها تتأثر بالمزيد المعرفي الذي يثريها ويجعلها قادرة على أن تثري السُّلوك المصاحب إليها في كل ظرف، وأنَّ تفاعل الإنسان مع القيم الثَّقافيَّة تجعله في حالة تميّز كلما تمكّن معرفةً وسلوكًا، ومع أنّ الإلمام بالقيم الثَّقافيَّة يفتح آفاق واسعة أمام امتداد التفكير الإنساني إلا أنّه قد يشكل عائقًا أمام سرعة الامتداد غير الواعية التي كانت قبل المزيد المعرفي؛ وذلك لأنَّ المزيد المعرفي يؤدّي إلى الإحجام عن السُّلوكيَّات غير الموضوعيَّة (التي كانت تُفعل على حساب الآخرين)، فبالثَّقافة تفكّ القيود، وبها توضع قيودًا (تُفك من قيد الجهل المعرفي وتوضع به)، والإلمام بمجال القيم الثَّقافيَّة يؤدّي إلى حُسن الفعل ورفعة السُّلوك واستيعاب الآخر بإرادة كما هو لا كما ينبغي أن يكون علية.

ولم يعد التفكير في مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة مقتصرًا على المتوقَّع فقط، بل يمتد ليشمل قيمة التهيؤ إلى غير المتوقَّع، فالمتوقَّع لا غرابة أن يتم التفكير فيه، ولكن من الأفضل أن يُفكر الإنسان في غير المتوقَّع. في أعوام الحرب الباردة كان من المتوقَّع أن تقوم الحرب بين أمريكا والاتحاد السوفييت (بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية)، ومن غير المتوقَّع أن تُدمّر أبراج التجارة العالمية في نيويورك كما حدث في 11 سبتمبر 2001، ومن المتوقَّع أنَّ

تهاجم دولة أخرى بالأسلحة النووية، ومن غير المتوقَّع أن يمتلك الأفراد هذه الأسلحة؛ ولذلك ينبغي أن نفكر في غير المتوقَّع، فقد يصبح واقعًا في عصر انتشار دائرة المعارف والمعلومات العالمية.

إنَّ فلسفة الفروض العلميَّة مبنية على الشّيء ونقيضه (المتوقَّع وغير المتوقَّع) فالباحث الذي يسعي لإثبات فروض بحثه كمتوقَّع قد يفاجئه الواقع بغير المتوقَّع؛ ولذلك يمتد مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة ليشمل غير المتوقَّع كممكن؛ ولأن الممكن احتمالي، إذن لا بد وأن يحتوي على المتوقَّع وغير المتوقَّع، من غير المتوقَّع أن يَقدِم روسي أو أمريكي أو إسرائيلي أو باكستاني ويدمر أحد الرؤوس النووية لبلاده، ولكن إذا فكرنا في غير المتوقَّع قد يصبح غير المتوقَّع ممكنا؛ وعليه ينبغي أن نفكر مرتين قبل أن نقرر، فمعاقبة الذين قاموا بهجمات أحداث 11 سبتمبر 2001م، أمر متوقَّع، ولكن من غير المتوقَّع أن يُقضى عليهم، بناء على القاعدة التي تقول لكل فعل رد فعل مساوي له في القوَّة ومضاد له في الاتجاه، فالأفعال التي تمارس الآن ضد أعضاء تنظيم القاعدة ستولّد بالضرورة منتمين جدد للتنظيم أو إنشاء تنظيمات جديدة متطرفة، مناصرة لهم وقد تثأر من جديد، وذلك لربط سلوكهم وأفعالهم بالدين الإسلامي والدّفاع عنه، فلو كانت القائمة بالفعل دولة، كان من السهل القضاء عليها (على السُّلطة فيها)، ولو كان الهدف فقط متابعة تنظيم القاعدة، والقضاء عليه، كان ذلك من الممكن، ولكن أيّ امتداد خارج هذه الحدود سيولِّد غضبًا أكثر شدة من ذي قبل،

والزَّمن كفيل بذلك، ومن يتوقّع غير ذلك قد يفاجئه غير المتوقَّع؛ فالمسلمون في الظَّاهر قلوبهم شتى، وفي الباطن قلب واحد، والعرب منهم قد وصل بهم الحال إلى أن تقاتلوا على عقال بعير أربعين عامًا، ويصطلحون على بيت شعرٍ، ولهذا فعندما يُمّس دينهم يتوحّدون على بيت شِعرٍ، وعندما يُرفع صوت التوحيد (الله أكبر) تصبح الشهادة أقرب إليهم من حبل الوريد. نعم أنَّهم يحبُّون الحياة وملذاتها ومنافعها، ولكنَّهم في لحظة من لحظات القدر، يضربون بها عرض الحائط، يحبّون أبنائهم وأسرهم ويحبّون الحياة من أجلهم، ولكن أيضًا عندما يُستفزون بالنقيصة أو يهانون في دينهم، يسارعون إلى الشهادة كمنقذ لهم من كل نقيصة، وهذا لا يعني لا يوجد بينهم منحرفون، بالتأكيد لكل قاعدة شذوذ، ولكن في العموم يحبون التسامح، عندما يقابلون بصدور رحبة، شريطة أنْ لا يكون على حساب الدين والعِرضِ والأرض. مطيعين للحاكم ومعظِّمين له، وأحيانا يصل بهم الحال إلى درجة التملق والمبالغة في إظهار الصفات الحسان حتى ولو لم تكن فيه واحدة من الخصال النافعة، وينقلبون عليه في اليوم خمس مرات بكلمة الله أكبر.

ولهذا فالثَّقافة في حد ذاتها تُعد لغة سلام، لأنَّها تطلّعيّة، تتطلع للآخرين وتسعي لاستيعابهم، ولكن الذي يخالف ذلك هو أساليب المنتمين للثقافات المختلفة، وليس المثقفين منهم، فالثَّقافة لغة الحوار العالمي، الفنون والآداب لغات متنوِّعة، تنصهر جميعها في بوتقة توصيل الفكرة والتعبير

عنها، إذن لا وجود للثقافات المعادية، الوجود للأفراد والجماعات المعادين، هؤلاء هم غير المثقفين، مع أنَّهم ينتمون إلى الثَّقافة.

وفي عصر العولمة كما هو متوقَّع ستسود ثقافة عالمية، تنشر السلام وتدعم أساليب ممارسة الدِّمقراطيَّة، ترفض التعصب وقد تقاومه بقوَّة، تبث تعاليم ومفاهيم ومعارف استيعابيَّة، تزيل الحدود بين الأنا والآخر، تهدف إلى الرخاء وقد لا تعممه، غاياتها تحقيق العدل وليس تحقيق المساواة، فالمساواة ليس من اهتمامات الفكر الرّأسمالي المتزعم تسويق العولمة للأمم والشعوب غير المنتمية بعد، المهم أن تكون رأسمالي الانتماء حتى ولو كنت فقيرًا، فالفقر ليس عيب، العيب عندهم أن لا تكون مؤمنًا بالفكر الرأسمالي، هذا ما هو متوقَّع. أمَّا بالمنظور غير المتوقَّع، فإنَّ الشُّعوب والأمم ذات الهويَّات الخاصَّة سترفض أن تطمس خصوصيَّاتها على حساب تعميم ثقافة القرية الواحدة، كيف تكون قرية واحدة ومواطنيها من ثقافات وأعراق ومعتقدات وأعراف مختلفة؟ وهل يمكن أن تقوم سيادة القرية الواحدة وتطمس هويِّات الآخرين بكل سهولة وإرادة؟

أقول: ستكون الإجابة وفقًا للممكن، من الممكن أن تتحقق بعض التعميمات، ومن غير الممكن أن يتحقق غيرها أو لا يتحقق، إذن عندما يترك الأمر للإرادة يصبح كل شيء ممكنًا، وإذا ترك الأمر لغيرها (للقوَّة)، قد لا يكون المتوقَّع ممكنًا؛ ولذا من غير المتوقَّع، أن يصبح المتوقَّع ممكنًا.

عندما تُبنى القرية الصغيرة، لا بد وأن يكون إليها أدب واحد، ولغة أولى، ودين أول، وقيم مشتركة، تستنبط من إطارها المرجعي، وهذه تحتاج إلى دهور لكي تتحقق، فالولايات المتحدة الأمريكيّة على سبيل المثال، يزيد عمرها عن 280 عامًا ولا زال للهنود الحمر خصوصيَّة، وللمكسيكان خصوصيَّة، وللسود خصوصيَّة، وللعرب الأمريكان خصوصيَّة، وللكوبيين الأمريكان خصوصيَّة، ولغيرهم من الأقليَّات الأمريكيّة خصوصيَّة، ولا ننسى مثال الاتحاد السوفييتي الذي سقط من منصة المنافسة الحرَّة دون أن يجد من يتأسف عليه، عندما سقط وانتهى عادت الشعوب الموحَّدة بالقوَّة إلى إحياء خصوصيّاتها، المسلمون عادوا إلى معتقدهم، واليهود والبوذيون وغيرهم من المجتمعات عادوا إلى معتقداتهم وقيمهم التي تشكِّل شخصياتهم وبما يمتازون.

وعليه نعم أن تسود ثقافة العولمة التي لا تجعلنا نسخة واحدة كأوراق السّحب، ونعم لثقافة العولمة التي تُقدّر خصوصيَّاتنا وتعتبرها، ونعم لثقافة العولمة التي تمدنا بالجديد كل لحظة من خلال شبكات المعلومات المتطوِّرة ووسائل الاتصال المتنوِّعة، ونعم لثقافة العولمة التي تهدف إلى تكسير القيود المكبلة للإرادة الحرَّة، ونعم لثقافة العولمة التي تهدف إلى ارتفاع المستوى التعليمي والصحي للأفراد والجماعات بغض النظر عن معتقداتهم وأعرافهم، ونعم أن تسود ثقافة العولمة التي لا تقبل بالفرد الكامل، ولا تقبل باحتكار السُّلطة من أي كان، ونعم أن تسود ثقافة العولمة التي تود أن يكون بيننا

وبين بيئتنا توادد، وتريدها بيئة خالية من التلوث والآفات من أجل حياة ومستقبل أفضل، ولا لغير المتوقَّع.

وعليه: الثَّقافة رفعة في الذَّوق، وحسن تصرف في الفعل والسُّلوك، تسعى إلى بناء الشخصيَّة المتفاعلة مع الآخرين، فتنقلها من مستوى الأنا إلى مستوى الموضوع، من مستوى التمركز على القبيلة والحزب والطبقة إلى مستوى التمركز على الفكرة التي تُقدّر الأنا والآخر، ومن مستوى الجهل إلى مستوى العلم والمعرفة الموضوعيَّة.

ولهذا فمجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة مجال تتطلع فيه الشخصيَّة إلى معرفة ما يجب عندما يسودها الوعي المعرفي، وتنسحب وتتراجع عندما لا يسودها، تسعى لأن تكون قدوة حسنة حتى وإن لم تتمكّن من ذلك، والثَّقافة ليست مجرد لغة حوار، بل أنَّها المنطق المفيد في الحوار؛ ولذا فإنَّ اللغة وحدها لا تحقق التفاعل والتفاهم والاتصال المستمر بين المتحاورين، فالذي يحقِّق ذلك بنجاح هو المنطق نتيجة علاقته بأساليب التفكير، فينبغي أن يتمكن المتحاورون من فهم الكيفيَّة التي يفكر بها الطرف الآخر، وكذلك فهم القيم التي تستمد من إطاره المرجعي، ثم إحساسه بتقدير معطياته وملكاته الفكريَّة والمعرفية، وما يشكل له إطارًا مرجعيًّا يستوجب الاعتراف والتقدير؛ وإذا لم تعتمد الأطراف المتحاورة منطق للحوار لا يمكن أن تصل إلى نقاط التقارب والتفاهم المشتركة، وهذا حال الصراع الذي يدور بين العرب والإسرائيليين، أو بين المجتمعات الإسلاميَّة والمجتمعات

الغربيَّة، الكل يعتمدون على اللغة في الحوار ولا يولون اهتمامًا بمنطقه، الكل فهم اللغة، وفي ذات الوقت الكل لم يفهم بعد منطق الحوار الذي تكمن فيه مبررات التفاهم والاستيعاب، نحن العرب نفكر في مشاكلنا مع المجتمع الغربي بمنطقنا الذي يخضع لروائنا الفكريَّة والثَّقافيَّة، وهم كذلك يفكرون في مشاكلهم مع العرب بمنطقهم الذي يخضع لرؤاهم الفكريَّة وثقافتهم. إنهم لم يفهموا بعد كيف نفكر، ونحن كذلك لم نفهم بعد كيف يفكرون؛ ولذلك كل طرف يعتبر نفسه على حق والآخر على باطل، إذا أردنا التفاهم والتعاون والتقارب علينا أن نتهيأ إلى الآتي:

. التعرُّف على بعضنا بموضوعيَّة حتى يتمكن كل منا من تقدير الطرف الآخر.

. الاعتراف بأنَّ لكل طرف إطار مرجعي ذا أثر لا ينبغي غض النَّظر عنه أو تجاوزه.

. التعرُّف على أساليب التفكير فلكل طرف في الحوار مبرراته المنطقيَّة التي تجعله في حالة انحياز مسبق.

. اعتماد مبدأ التقبُّل الذي يقر بتقبل كل طرف كما هو لا كما يجب أن يكون عليه.

. تقدير الذَّات بمستوياتها الثَّقافيَّة التي هي عليها، ولا تغيير إلا بإرادة، فلغة الإكراه لا يقابلها إلا منطق الرَّفض.

ولذا فمجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة مجال امتدادي تمتد فيه القدرات والملكات العقليَّة الإنسانيَّة من حالة السُّكون إلى حالة الحركة الواعية التي تُمكّن الشّخصيَّة من التهيؤ لمعرفة الأفضل، وتمكن من الممارسة السُّلوكية عندما تتطابق المفاهيم مع الأفعال المرغوبة التي تؤدِّي إلى ظهور الأنموذج وتبرز الاتجاهات المعرفية والأفكار الخاصَّة والعامَّة (المنغلقة والمنفتحة)، فتبرز الشخصيَّة على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الإنساني؛ وعليه فإنَّ مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة يعتمد كثيرا على معرفة الأثر القيمي وأساليب تقديره عن طريق تطبيق خماسي تحليل القيم على موازين اختيارات المبحوثين للبدائل القيميَّة لكل علاقة من علائق هذا المجال الثقافي.

وعندما تقتصر قيم مجال العلائق الثَّقافيَّة على المستوي الشخصي فإنَّها تؤدِّي بالضرورة إلى بناء شخصيَّة الأنا، وعندما تمتد القيم لتحتوي مميزات الأمَّة (الدين والأعراف واللغة) فبالضرورة تؤدِّي إلى ما يمكّن الشخصيَّة من التهيؤ لبناء الذَّات الاجتماعيَّة التي تكوّن العاطفة الاجتماعيَّة، وعندما تستوعب الآخر كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه فإنها ستؤدِّي إلى بناء الشخصيَّة الموضوعيَّة وتهيؤها لاستيعاب الغير.

كما يمكَّن مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة الشخصيَّة من تهيؤ بغاية تجاوز حدود الهويَّة إلى الاتصال بالآخر والتعرُّف على أساليب تفكيره ومنطق حواره، إنَّه مجال العبور الذي يتجاوز بالأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية الحدود الوطنيَّة لأجل الدخول إلى القرية الصغيرة الممتلئة

بالمعلومات والمعارف المكونة لمجتمع الفكرة بإرادة، وفي عصر ما قبل انتشار دائرة المعارف العالمية، كانت القيم الثَّقافيَّة في حالة انحسار داخل الحدود، أما في عصرها فستسود القيم الثَّقافيَّة الآتية:

. القيم الثَّقافة التوسعيّة.

. القيم الثَّقافيَّة الاستيعابيَّة.

. القيم الثَّقافيَّة العابرة.

. القيم الثَّقافيَّة المخترقة.

. القيم الثَّقافيَّة المهاجرة، وهي القيم التي كانت تهاجر إلى المدن أصبحت في عصر العولمة مهاجرة إلى الأرياف والقرى الصغيرة التي ارتبطت بشبكات الاتصال الموسعة مثلها مثل المدن. ولن يكون هناك سندًا قيميًّا تعود إليه المدن كما كان في العصور الماضية، فالمتغيرات الثَّقافيَّة على كفة ميزان واحدة وكأنَّها في أنابيب مستطرقة، الأوامر والنواهي تعم القرية الصغيرة بمضاعفة سرعة الصوت، حفلات الختان والزفاف ومنابر المعرفة ودخول الأسواق والعرض على الأطباء لمعرفة الحالة الصحية أصبح ميسرا من خلال شبكات المعلومات والاتصالات المتطوِّرة دون أن تدفع قيمة تذكرة سفر، أو تضيّع جزاء من وقتك.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (182) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيمية لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 – موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعية الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيّة النّاهضة (مجالاتها عملياتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشّخصيّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشّخصيَّة المتأهبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (182) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/